مصادر التلقي عند الصوفية

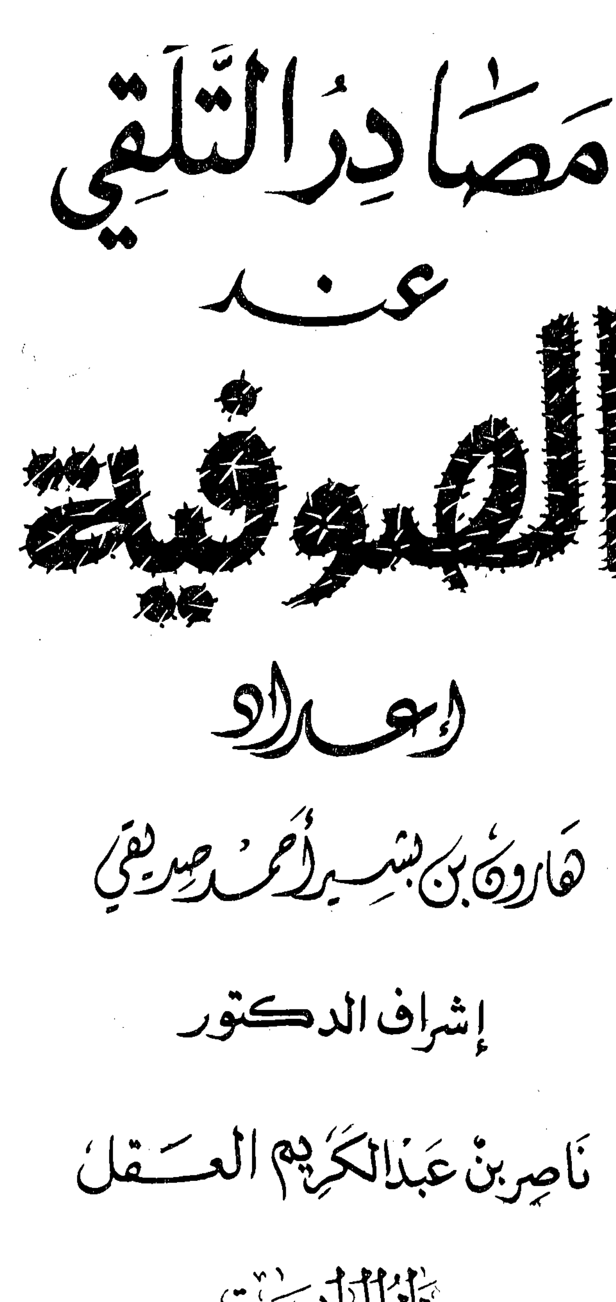
إعداد

هارون بن بشير أحمد صديقي

إشراف الدكتور

ناصر عبد الكريم العقل

دار الراية
للنشر والتوزيع



دار الراية
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ

ح دارالراية للنشر والتوزيع ١٤١٦ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
صديقي ،هارون بن بشير أحمد
مصادر التلقي عند الصوفية. - الرياض.
١٢٣ص، ١٧x٢٤ سم
ردمك ٩-٢٢-٦٦١-٩٩٦٠
١- الصوفية ٢- التصوف أ- العنوان
ديوى ٢٦٠ ١٦/١٣٢٢

رقم الإيداع : ١٦/١٣٢٢
ردمك :٩-٢٢-٦٦١-٩٩٦٠

دار الراية
للنشر والتوزيع

الرياض:الربوة -شارع عمر بن عبدالعزيز-هاتف٤٩١١٩٨٥/فاكس ٤٩٣١٨٦٩
ص.ب. (٤٠١٢٤) الرياض (١١٤٩٩)
جـدة: حي الجامعة - جنوب شارع باخشب - هاتف ٦٨٨٥٧٤٩


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله الأمين وبعد:

فإن هذا البحث «مصادر التلقي عند الصوفية» كان أحد البحوث التي اقترحتها لطلاب السنة المنهجية لمرحلة الماجستير بالدراسات العليا ـ قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ـ بكلية أصول الدين بالرياض (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) في العام الجامعي ١٤١٤هـ. وكان ذلك ضمن متطلبات مقرر الملل والنحل.

وكان أحد الباحثين في هذا الموضوع (هارون بن بشير أحمد صديقي) ولما قرأت بحثه رأيت أنه جدير بالطبع والنشر وأشرت عليه بذلك فقبل بعد تردّد.

وفقنا الله وإياه لما يحبه ويرضاه وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

د. ناصر بن عبد الكريم العقل

١٤١٥/١٢/٢٦هـ



الإهـــداء

- إلى الوالدين - حفظهما الله - اللذين لم يدخرا أي جهد في سبيل مسيرتي التعليمية.

- إلى المشرف على البحث الشيخ الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل وسائر أساتذتي - حفظهم الله -.



المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن لقبول العبادة شرطين أساسيين لابد منهما في كل عبادة وهما:

١ـ الإخلاص لله تعالى.؛ ٢ـ المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك. قال تعالى: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**﴾(١). فمن أخلّ بهما أو بأحدهما لم يُقبل عمله، فمهما أخلص فيه ولم يكن صواباً لم يقبل، وإن كان صواباً ولم يخلص فيه لم يقبل لعدم توفر الشرطين فيه أو أحدهما.

وإن المتأمل لواقع الأمة الإسلامية يجد أن الجهل مطبق لدى طائفة منهم، حيث نجد لديهم الإخلاص ولكن الصواب مجانبهم، وآخرون منهم بل هم الأكثرون قد فارقوا الإخلاص، ودخلوا في غياهب الشرك وشعبه المظلمة، ومنهم من جمع بين الشرين.

ولقد جمع التصوف بين هذين النوعين، فالشرك عندهم ودعاء الأموات واضح، كما أن الإخلاص ـ مع عدم المتابعة ـ عند المبتدئين ملحوظ وواضح.

---

(١) سورة الكهف، الآية ١١٠.

ولقد غزا التيار الصوفي الساحة الإسلامية فتأثرت به طوائف من المسلمين وأضلّ الكثيرين عن الصراط المستقيم واشتبه على بعض الناس أمره وخفيت عليهم حقيقته، فوجوده على الساحة كثير، كما أن المؤلفات فيه مدحاً وذماً وعرضاً لا بأس بها. فهو موضوع جدير بالعناية، وأهميته ظاهرة.

وسأتحدث في السطور القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ عن جانب من جوانب التصوف ألا وهو «**مصادر التلقي عند الصوفية**» وماهي الركائز التي يقوم عليها التصوف وما مرجعه وأصله في ذلك؟ فأرجو من الله أن يوفقني إلى القول الحق وإلى سبيل الرشاد.

هذا وسأسير في هذا البحث على الخطوات الآتية:

١ـ **الباب الأول**: لمحات موجزة في تعريف التصوف وتاريخه وفيه مبحثان:

١ـ تعريف التصوف والصوفية وبيان اشتقاق اللفظ.

٢ـ تاريخ التصوف ومراحله.

٢ـ **الباب الثاني**: مصادر التلقي عند الصوفية، وله تمهيده وفيه عشرة فصول هي:

ـ الفصل الأول: المصدر الأول: المسيحية ومظاهر الاتفاق.

ـ الفصل الثاني: المصدر الثاني: اليهودية ومظاهر الاتفاق.

ـ الفصل الثالث: المصدر الثالث :المذاهب الهندية ومنها (البوذية، والبرهمية) ومظاهر الاتفاق.

ـ الفصل الرابع: المصدر الرابع: اليونانية بشقيها: الأفلاطونية المحدثة، والفكر الغنوصي ومظاهر الاتفاق.

- الفصل الخامس: المصدر الخامس: الشيعة ومظاهر الاتفاق.
- الفصل السادس: المصدر السادس: علم الكلام وبيان ذلك.
- الفصل السابع: المصدر السابع: الكشف وأقوال المشائخ وأمثلة ذلك.
- الفصل الثامن: المصدر الثامن: «الإلهام - العلم اللدني» وأمثلة ذلك.
- الفصل التاسع: المصدر التاسع: الرؤى وأمثلتها.
- الفصل العاشر: المصدر العاشر: الهواتف وأمثلتها.

٣- بعد ذلك أختم البحث بخاتمة أذكر فيها نتائج البحث والحكم على الطائفة.

٤- ثم ثبت المصادر والمراجع مرتبة ترتيباً هجائياً.

٥- وأخيراً يجد القارئ فهرساً للبحث.

هذا ولا يفوتني أن أذكر أن هذا البحث كان من ضمن البحوث المقررة على طلاب الدراسات العليا في كلية أصول الدين، وقد أشرف عليه الشيخ الأستاذ الدكتور / ناصر بن عبد الكريم العقل - حفظه الله - واستحسنه واستحسن طباعته.

وفي نهاية هذه المقدمة أشكر الله أولاً وآخراً على توفيقه وعونه كما أشكر كل من شجعني على طبع هذا الكتاب فجزاهم الله خيراً.

هارون بن بشير أحمد صديقي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين - الرياض
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
ليلة الأربعاء ١٤١٥/٧/١٩هـ
- بريدة



البـــاب الأول

لمحـات موجـزة

في تعريف التصوف وتاريخه

وفيه مبحثان:

١ـ تعريف التصوف والصوفية واشتقاق اللفظ.

٢ـ تاريـخ التصـوف ومراحلـه.



اشتقاق لفظ الصوفية

مما لاشك فيه أن هذه الألفاظ محدثة فلم تكن معروفة في العصر الأول، فـ(الجميع متفقون على حداثة هذا الاسم، وعدم وجوده في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالحين)[1] وهذا يجعلنا نبحث عن أصل التسمية ومصدر اشتقاقها.

سُئل الشبلي: لِمَ سميت الصوفية بهذا الاسم؟

فقال: «هذا الاسم الذي أطلق عليهم اختلف في أصله وفي مصدر اشتقاقه، ولازالوا مختلفين فيه حتى اليوم»[2] وهذا هو الحال في جلّ مسائل التصوف، وقل أن تجد لهم مسألة إلا ولهم فيها آراء متعددة. وفي هذا الباب ذكر البعض ثمانية اشتقاقات، وقيل أقل من ذلك.

(قيل مأخوذ من لبس الصوف، أو نسبة إلى أهل الصفة، أو نسبة إلى الصف الأول في الصلاة، وقيل نسبة إلى قبيلة بني صوفة، أو إلى الكلمة اليونانية «سوفيا» التي معناها الحكمة)[3] إلى غير ذلك من الأقوال.

لكن أقرب الأقوال إلى الصواب ـ والله أعلم ـ هو ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وهو أنهم منسوبون إلى لبس الصوف[4]. وقال به غيره رحمه الله.

ثم إن (بعض الصوفية ـ كالقشيري ـ ينكر مثل هذه التسمية وهذه

---

(١) التصوف المنشأ والمصادر، للأستاذ إحسان إلهي ظهير، ص٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠.

(٣) الصوفية معتقداً ومسلكاً، د. صابر طعيمة، ص٢٠ـ٢٣، بتصرف.

(٤) راجع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جـ١١، ص٧.

النسبة وغيرها، بل يمانع من التسمية بصوفي)[1] قال القشيري: «فأما قول من قال: إنه من الصوف.. فلذلك وجه. ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف»[2]. ومهما قيل فإن اختيار شيخ الإسلام هو الأظهر، وذلك لأن النسب الأخرى غير إسلامية، أي إما منسوبة إلى اليونان المشركين أو إلى أهل الجاهلية ولا يرضاها الصوفية أو إنها بعيدة لغوياً، والله أعلم.

* **أما عن تعريف الصوفية:**

فهذا أيضاً مما اضطرب فيه الناس وتعددت أقوالهم نحواً من تعددها في اشتقاق اللفظ أو تزيد. قال السهروردي: «وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول»[3]. وقد يكون هذا العدد للتهويل والدعاية. وقال عنه الجنيد ـ أحد كبار الصوفية ـ «هو أن تكون مع الله بلا علاقة». وقال الجريري: «هو الدخول في كل خلق سني، والخروج من كل خُلُق دني» وقال الجنيد أيضاً عنه هو «أن يميتك عنك ويحييك به». وقال عمرو بن عثمان المكي: «هو أن يكون العبد في كل وقت عمّا هو أولى به في الوقت». وقال عنه محمد بن علي القصاب: «أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام»[4].

فاختلاف أرباب التصوف يدلنا على أنه علم محدث يفتقر إلى قواعد وأصول.

ويتلخص مما سبق أن التصوف مع أنه عقيدة في الأصل أيضاً هو نوع من الأخلاق الرياضية للنفس، ولا يعرفه إلا من تدرج في سلكه، كما

(١) الصوفية معقتداً ومسلكاً، ص٢٢، بتصرف.
(٢) التصوف المنشأ والمصادر، ص٣٠.
(٣) التصوف المنشأ والمصادر، ص٣٦.
(٤) الصوفية معتقداً ومسلكاً، ص٣٣، بتصرف.

يزعمون. قال سمفون في جواب سائل سأله ـ أي عن التصوف ـ «أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء».وقال الجنيد: «التصوف عقدة لا صلح فيها». وعن الشبلي: «التصوف هو العصمة عن رؤية الكون». وذكر السلمي عن أبي محمد المرتعش النيسابوري أنه سُئل عن التصوف فقال: «الإشكال والتلبيس والكتمان»(١).

والذي يظهر أن كل واحد يُعرفه من زاوية معينة، ويحده من خلال نظرته الخاصة؛ إلا أن التعريف الأخير فيه نزعة باطنية، وغموض، وكتمان. أما العقاد صاحب العبقريات فيعرفه بقوله: «إنما التصوف ـ أو العبقرية الدينية ـ قدرة على الشعور بحقائق الدين والعبادة، وهو كجميع العبقريات قلق يتطلب الراحة بالتعبير عن نفسه، والتوفيق بين النقائض التي تعتريه والشكوك التي تساور الضمير فيما يجيب عليه»(٢).

فتعريف العقاد له يؤكد ما لدى المتصوفة من الفطرة الباطنية، ووضع التكاليف؛ لأنه لم يذكر العمل. ثم هل للدين حقائق غير ما يظهر لنا بل تظهر تلك للصوفية فقط إنها نزعة باطنية ولاشك، أيضاً هي القدرة التي يريدها العقاد وهل حقيقة الدين والعبادة هي القلق والجنة هي الراحة، أم أن الدين والعبادة هما الراحة والطريق إليهما هو القلق؟ وإلا فما هو القلق الذي يريد. بل إن الصوفية يُعرّفون التصوف بالتعاريف الباطنية ولا يهتمون بالظاهر. والذي يظهر أن التصوف كفلسفة ورياضة ومنهج أقرب منه كدين وعبادة.

ـ وما نقله السلمي عن النيسابوري يؤكد لنا النزعة الباطنية لدى الصوفية.

---

(١) التصوف المنشأ والمصادر، ص٣٧، بتصرف.

(٢) الله، عباس محمود العقاد، ص٢٠٥.

تاريخ التصوف ومراحله

[لا يعرف على وجه التحديد من بدأ التصوف في الأمة الإسلامية، ومن هو أول متصوف، وإن كان الإمام الشافعي - رضي الله عنه - عندما دخل مصر قال: «تركت بغداد وقد أحدث الزنادقة فيها شيئاً يسمونه السماع.. والزنادقة الذين عناهم الشافعي هنا هم المتصوفة..»(1)].

ولذلك (لم تكن الصوفية - بطبيعتها - فرقة واضحة متميزة حتى يمكن للباحث تتبع تطورها طوراً طوراً عبر السنين، وإنما هي فرقة (هلامية) ليس لها شكل محدود،..)(2).

فكما أن اشتقاق لفظ التصوف وحدّه فيه اضطراب؛ فكذلك نشأته وتأريخه كل ذلك تعددت أقوال الناس فيه، ولكن (كلمة صوفي كانت أول أمرها مقصورة على الكوفة)(3). وهذا بالنسبة للنشأة المكانية.

ويمكن أن نقسم تاريخ تطور الصوفية إلى ثلاث مراحل مسبوقة بتمهيد لها وهو ظهور طبقة العباد والزهاد في المجتمع الإسلامي، ويلي هذا التمهيد:

(1) أول المراحل: وهم أوائل الصوفية الذين يصح أن يقال فيهم: من هنا بدأ التفرق.

(2) تتبعها مرحلة: المصطلحات والغموض التي استقلت بها الفرقة.

(3) ثم: ظهور فكرة وحدة الوجود، وتداخلها في فكر الصوفية، مع امتزاجها بالفلسفة اليونانية أي التصوف الفلسفي(4).

---

(1) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، لعبدالرحمن عبدالخالق، ص33.

(2) الصوفية نشأتها وتطورها، محمد العبدة - طارق عبدالحليم، ص15.

(3) التصوف المنشأ والمصادر، ص42.

(4) راجع الصوفية نشأتها وتطورها، ص15-16.

* هذا ومن المعلوم أن الإسلام في عصر النبوة شمل قبائل مختلفة وطبائع متنافرة وأصحاب ميول متعددة. وهذا لا يعني أن التصوف بدأ منذ ذلك العصر! ولكن أقول: [ظهر أقوام تميزوا بالزهد وكثرة العبادة، بل ظهر فيهم من عاهد نفسه أن يصوم الدهر، وقال آخر إنه سيعزف عن النساء، وقال الثالث إنه سيقوم ولا ينام. ولكن ياترى هل تُرك الأمر على ماهو عليه؟ كلا!! فقد نبه المصطفى صلى الله عليه وسلم بأبي هو أمي ومالي حيث قال: «أما أنا فأصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1]] جامع الأصول لابن الأثير ١/ ٢٩٤، باب الاقتصاد في الأعمال. ففصل صلى الله عليه وسلم في هذه القضية بكلمات يسيرة.

ثم بعد ذلك توالى الزهاد من التابعين ومن بعدهم، وزهدوا في الدنيا مما هيأ للفكر الصوفي الأسباب للظهور[2] وإليك نبذة عن ذلك:

المرحلة الأولى: أوائل الصوفية:

[وهم الذين وصلوا إلى الغلو، من البدع العملية إلى البدع القولية الاعتقادية، وذلك بعد الفتوح ودخول العناصر الخارجية. فبدأ التفرق. ثم إن التصور بلغ قمة الانحراف في القرن السابع الهجري، على يد ابن عربي وابن الفارض وأمثالهما.

ومن أعلام المرحلة الأولى في القرن الثالث «الجنيد»[3] وفي القرن

---

(١) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، جـ٩، ص١٠٤، ك٦٧ النكاح، ب١ الترغيب في النكاح، بنحوه مطولاً.

(٢) راجع الصوفية نشأتها وتطورها، ص١٧-٢٣.

(٣) هو أبو القاسم الخزاز، أصله من نهاوند، وولد ببغداد، تفقه على أبي ثور، ت٢٩٨هـ، صفة الصفوة ٢/ ٢١٦.

الرابع «أبي طالب المكي»(١). أيضاً ظهر مبكراً من يقول بالحلول «كالحلاج»(٢).

وظهر السماع، والقوال، واسم الصوفية، وظهرت مثل طريقتنا، ومذهبنا، وعلمنا. كما صنفت الكتب التي تجمع أخبار الزهد والزهاد)(٣)].

المرحلة الثانية: المصطلحات والغموض:

وهي أقرب ما تكون بالتفسير الباطني للكلام، فكل صوفي يفسر المصطلحات الغامضة كما يشاء، وهذه مسألة خطيرة. ومن ذلك الفناء، والجمع والفرق، والسكر والصحو، والعشق. فقد قاموا بتفسير هذه المصطلحات على حسب أهوائهم. ويقصدون «بالفناء» الفناء عن وجود السوى، أو عن شهود السوى، أو عن إرادة السوى.

والأول والثاني تفسيرات كفرية بدعية باطلة. أما الثالث فحق مقبول ومعناه أن لا يحب إلا الله ولا يوالي إلا فيه ولا يبغض إلا فيه فهذا صحيح؛ ولكن لا نسلم لهم هذه التسمية. أما «الجمع والفرق» فهو أن «الجمع» إشارة إلى حق بلا خلق. و«الفرق» خلق بلا حق. ويقصدون أن الفرق هو ما يكون كسباً للعبد من إقامة العبودية لله، والجمع هو مشاهدة الربوبية ونهاية المطاف يصلون إلى وحدة الوجود. وهو تفسير الفناء بالمعنى الأول.

---

(١) هو محمد بن علي بن عطية، كان رجلاً صالحاً، ذكر أحاديث في قوت القلوب لا أصل لها، ت٣٨٦هـ. البداية والنهاية ١١/٣١٩.

(٢) هو الحسن بن منصور الحلاج، كان جده مجوسياً، قتل في بغداد سنة ٣٠٩هـ. انظر الصوفية نشأتها وتطورها ص١٢٥، والبداية والنهاية ١١/١٣٢.

(٣) الصوفية نشأتها وتطورها، ص٢٤-٢٨. بتصرف.

أما «السكر والصحوة والعشق» فكلها كلمات تعني الحب والغرام)(١).

والصوفية معروف عنهم أنهم إنما يعبدون الله بالحب وحده، ولهذا حكم العلماء عليهم بالزندقة والكفر والمروق من الدين.

المرحلة الثالثة: التصوف الفلسفي:

(وتعتبر هذه المرحلة من أخطر مراحل الصوفية، حيث تسربت إليها الفلسفة اليونانية فابتعدت بها عن المراحل المتقدمة، بل جعلتها من الصوفية الخارجة عن الإسلام)(٢). (وانتهت هذه المرحلة إلى القول بوحدة الوجود، بتمهيد الفلاسفة)(٣).

هذا باختصار بيان لمراحل التصوف، وذكرنا قبل ذلك تأريخ التصوف. ولكن بقي أن نشير إلى أن هناك مرحلة رابعة انتهت إليها مراحل الصوفية في هذا العصر ألا وهي مرحلة «الطرق الصوفية» وهي كثيرة وخطيرة. نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) الصوفية نشأتها وتطورها، ص٣٦-٤٠. بتصرف.

(٢) المرجع السابق، ص٤٣.

(٣) المرجع السابق، ص٤٨.



البـــاب الثانــي

مصــادر التلقــي عنــد الصوفيــة

«ومنهــا عشـــرة»

وتحتــه عشــرة فصـــول



تمهيد

ذكرنا في الصفحات الماضية اختلاف الناس في مسائل التصوف اشتقاقاً وتعريفاً، هذا وقد اختلفوا أيضاً في مصادر التصوف فقائل يقول: «للصوفية مدد من كل نحلة ودين إلا دين الإسلام»(١) و كأن هذا الكلام مبالغ فيه لأن الصوفية يتسمون بالإسلام وينطلقون ظاهراً منه، وهذا لا يعني سلامة معتقدهم.

يقول الشيخ عبدالرحمن الوكيل: «إن التصوف أدنأ وألأم كيداً ابتدعه الشيطان ليسخّر معه عباد الله في حربه لله ولرسله، إنه قناع كل عدو صوفي للدين الحق، فتش فيه تجد برهمية، وبوذية، وزرادشتية، ومانوية، وديصانية، تجد أفلاطونية وغنوصية، تجد فيه يهودية، ونصرانية، ووثنية جاهلية»(٢). فلتصوف مدد من كل دين ونحلة. وكما قال الخبير بأمر الصوفية: «إن التصوف وليد الأفكار المختلطة من الإسلام واليهودية والمسيحية، ومن المانوية والمجوسية والمزدكية، وكذلك الهندوكية والبوذية، وقبل ذلك من الفلسفة اليونانية وآراء الأفلاطونية الحديثة، ثم قال: وتمسك بهذا الرأي بعض الكتاب في الصوفية من المسلمين وغير المسلمين»(٣).

فالمؤلف ـ رحمه الله ـ ذكر المصادر الخارجية وذكر منها عشرة مصادر، وهي تقريباً المصادر الأساسية.

أما بالنسبة: لآراء الشيوخ، والرياضة، والمنامات، والكشف، والإلهام، والهواتف، فأرى والله أعلم أنها داخلة فيما سبق، لأن الملل

---

(١) هذه هي الصوفية، عبدالرحمن الوكيل، ص١٩.
(٢) حقيقة التصوف، للشيخ د/ صالح بن فوزان الفوزان، ص٢٠.
(٣) التصوف المنشأ والمصادر، ص٤٩.

والنحل السابقة جمعت كل هذه الخزعبلات وزادت، وهذا لا يعني عدم جدواها وعدم أهميتها؛ بل على العكس من ذلك فهي الأهم لأن الصوفية بنوا مذهبهم عليها تقريباً.

يقول عبدالرحمن عبدالخالق: «في التصوف تثبت العقيدة بالإلهام والوحي المزعوم للأولياء، والاتصال بالجن الذين يسمونهم الروحانيين، وبعروج الروح إلى السماوات، وبالفناء في الله، وانجلاء مرآة القلب حتى يظهر الغيب كله للولي الصوفي حسب زعمهم، وبالكشف، وبربط القلب بالرسول صلى الله عليه وسلم حيث يستمد العلوم منه في زعمهم، وبلقاء الرسول صلى الله عليه وسلم في اليقظة والمنام حسب زعمهم، وبالرؤى... وبالجملة فالمصادر الصوفية للغيب كثيرة جداً»(١).

وإليك أخي الكريم بعضاً من مصادرهم في التلقي حسب ما يسمح به الوقت، وإلا فهم مختلفون متفاوتون في ذلك، لتعدد طرقهم ومناهجهم.

---

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والنسة، عبدالرحمن عبدالخالق، ص٣٧.

الفصـــل الأول

المصدر النصراني - ومظاهر ذلك



المسيحية[١] أو النصرانية هي في الأصل دين النبي عيسى ـ عليه السلام ـ المكمل والمؤيد لليهودية دين النبي موسى ـ عليه السلام ـ، ولقد حُرِّف كل من الدينين. ثم نسخا بالإسلام. فما أقره الإسلام من هذين الدينين فحق، وما عداه ـ أي في العبادات ـ فباطل، بغض النظر عن كونه محرّفاً أم لا!! وذلك أننا أمرنا بمخالفة اليهود والنصارى.

ـ أقول يرى الكتاب عن التصوف والصوفية أن المسيحية من أهم مصادر التلقي عند الصوفية. فمذهبهم لا يخلو من العبادات المسيحية[٢].

ويدلنا على ذلك النص الذي سقناه عن كتاب «هذه هي الصوفية» حيث يقول الكاتب ويؤكد أن للصوفية مدد من كل نحلة ودين...[٣] والمسيحية أول من يدخل في هذا العموم. يقول د. صابر طعيمة: «ومع أن قلة قليلة من شيوخ المتصوفة، لم يطمس عقلهم التيار الصوفي المتدفق من مصادره العديدة التي وفدت من الأفكار الهندية واليونانية والمسيحية...»[٤] وهذا يدل على الترابط بين التصوف والمسيحية، وأن التصوف دخله من الدين المسيحي ـ المحرّف ـ شيء كثير. بل وفي الإحياء للغزالي ما يفيد حرص الصوفية على الاستفادة من رياضات رهبان النصارى. فقد نُقل عن إبراهيم بن أدهم ـ وهو من سادات الصوفية ـ قوله: «تعلمت المعرفة من راهب يقال له: سمعان. دخلت عليه في صومعته. فقلت: ياسمعان! منذ كم أنت في صومعتك؟ قال: منذ

---

(١) تنبيه: الأولى تسميتها بالنصرانية، ولكن لما رأيت كثرة من ذكر هذا الاسم وسمتها به.

(٢) انظر الصوفية معتقداً ومسلكاً، د. صابر طعيمة، ص٧٣، وانظر التصوف المنشأ والمصادر، ص٥٠.

(٣) انظر هذه الصوفية، ص١٩.

(٤) الصوفية معتقداً ومسلكاً، ص٥١.

سبعين.. إلى أن يقول: فإنهم يأتون كل سنة يوماً واحداً فيزينون صومعتي ويطوفون حولها.. فأنا أحتمل جهد سنة لعزّ ساعة، فاحتمل ياحنيفي جهد ساعة لعزّ الأبد.

قال إبراهيم: «فوقر في قلبي المعرفة»(١). فهذا التصريح واضح من الصوفية على استفادتهم من الرهبان ورجال الدين النصارى. وهناك مظاهر لهذا التشابه، ودلائل على الاستفادة.. ومن ذلك:

١ـ التربية الذليلة عند الفريقين:

فلقد اشترك النصارى والصوفية في نوع هذه التربية، جاء في كتاب «الصوفية نشأتها وتطورها» قوله (لمعتقداتهم في الأقطاب والأوتاد وفي الأولياء والكرامات وانعكاس ذلك على «التربية الذليلة» التي يراضي بها المريدون خضوعاً لذوي العصمة من مشايخهم، ولاشك أن هذه الظاهرة من الصفات المميزة المقبوحة لدى الصوفية وهي كالتأويل صفة مشتركة بينهم ـ يعني الصوفية ـ وبين الشيعة، وبينهم وبين النصارى...، والنصارى غالوا في المسيح عليه السلام فرفعوه إلى مرتبة الألوهية)(٢).

فبيّن أن هذا الذلّ عند المريد للشيخ هو كما يفعله النصارى، وذلك كما في العصور الوسطى عند القساوسة والرهبان والبابوات حيث إن القساوسة قد عُرفوا بامتهان الناس وإذلالهم. وهذا هو حال المريد مع شيخه.

٢ـ عقيدتهم في المشايخ:

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد شابه الصوفية النصارى أيضاً في شدة تعظيم المشايخ والخوف منهم، واعتقاد أنهم يعلمون الظاهر

(١) أبو حامد الغزالي والتصوف، عبدالرحمن بن محمد دمشقية، ص١٣٧.
(٢) الصوفية نشأتها وتطورها، ص١١٣.

والباطن، ووصايتهم بعدم كتمان أي شيء عن الشيخ والقسيس كما في «الاعتراف عند النصارى» أمام البابا والقسيس(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ نور الله ضريحه ـ في معرض حديثه عن الصوفية وغلوهم في مشائخهم وتقديم قولهم على الكتاب والسنة، قال بعد ذلك: (وهؤلاء ـ يعني الصوفية ـ مشابهون للنصارى الذين قال الله فيهم ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلا ليعبدو إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عمّا يشركون﴾ [سورة التوبة، الآية ٣١].

وفي المسند وصححه الترمذي عن عدي بن حاتم في تفسيره هذه الآية لمّا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال: ما عبدوهم؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم «أحلوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال فأطاعوهم، وكانت هذه عبادتهم إياهم». ولهذا قيل في مثل هؤلاء إنما حُرموا الوصول بتضييع الأصول)(٢).

وكلام الإمام خير شاهد في هذا المقام، حيث إن الفريقين متفقان في هذا الغلو وتعظيم الأكابر سواء كانوا شيوخاً أم قساوسة ورهبان، وهذا خلاف منهج الإسلام الذي يربط المخلوق بالخالق بلا وسائط ولا ذرائع، ويُعظم الشخص لتعظيمه أمر الله ورسوله لا لأمر آخر.

٣ـ الاتفاق في ألقاب الرؤساء:

وهذا أيضاً من المظاهر التي شابه فيها الصوفية النصارى، مما يدل على تلقيهم تلك الأمور من النصارى فـ(بعد أن حرّف الصوفية كلمة «ولي» عن معناها الذي أراده القرآن الكريم، اخترعوا ما يسمونه بالأقطاب والأوتاد والأبدال، تسميات ما أنزل الله بها من سلطان،

(١) انظر الصوفية نشأتها وتطورها، ص٨٨.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جـ١١، ص٢١١ـ٢١٢.

يرتبون بها أوليائهم ترتيباً فيه مضاهاة للنصارى الذين يرتبون رجال الدين عندهم بدءاً بالشمّاس وانتهاءً بالبابا)[1]. فهذه ثلاثة أوجه تربط بين التصوف والمسيحية، وكلها خالية من الفضيلة والكرامة التي منحها الله لعباده.

٤ـ في اللباس:

أيضاً لا يفوتنا ذكر وجه الشبه بين الفريقين حتى في اللباس. يقول د. صابر طعيمة وهو يتحدث عن لباس الصوفية: (ويبدو أن لتأثير المسيحية التي كان فيها الرهبان يلبسون الصوف وهم في أديرتهم كثرة كثيرة.. أعطى هو الآخر دوراً في التأثر الذي بدا على سلوك الأوائل من روّاد حركة الزهد والانقطاع له)[2].

ولهذا يرى البعض أن الصوفية نسبة إلى لباسهم وهو الصوف، كما روي عن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ يقول عبدالكريم الخطيب: (وقد حاكى هؤلاء الزهاد المسلمون وعبّادهم ـ أي المتصوفة ـ نساك النصارى ورهبانهم، فارتدوا الصوف الخشن، ويمكن أن ترجع هذه العادة وهي ارتداء الصوف، إلى عهد الخليفة «عبدالملك بن مروان»، على أقل تقدير حيث بدأ فيه استعمال كلمة صوفي!!)[3].

وممن أيّد هذا القول أحد الكتاب حيث يقول: (إن ارتداء الملابس الصوفية أو التصوف الذي نشأ عن كلمة «الصوفية» كما تقدم، كان من عادات الرهبان المسيحيين ثم صار فيما بعد شعاراً للزهد عند الصوفية)[4].

---

(١) الصوفية نشأتها وتطورها، ص٧٧.

(٢) الصوفية معتقداً ومسلكاً، ص٢٥.

(٣) التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام، عبدالكريم الخطيب، ص١٢٨.

(٤) تاريخ التصوف في الإسلام، د. قاسم غني، ص١٠٠ـ١٠١.

٥ـ عقيدة الحلول والاتحاد:

والتشابه واضح بين الفريقين إلا أن النصارى أخف وطأة وأقل غلواً في ذلك حيث قالوا ـ أي النصارى ـ بالحلول أو الاتحاد الجزئي وهو المتعلق بشخص المسيح ـ عليه السلام ـ من خلال اعتقادهم بحلول اللاهوت بالناسوت في حيث أن غلاة الصوفية تجاوزوا ذلك إلى القول بالحلول الكلي والاتحاد العام. يقول د. صابر طعيمة عند حديثه عن عقيدة الاتحاد عند الصوفية: (ويصدق هذا على التصوف المسيحي وجميع صور التصوف الأخرى...)(١)، فالصوفية قد استفادت من المسيحية أيضاً في عقيدة الاتحاد كما ذكر ذلك د. صابر طعيمة وغيره.

ويقول إحسان ـ رحمه الله ـ (وإليكم الآن ما قاله الجيلي عبدالكريم موضحاً معنى التجلي «التجلي الصوري ظهوره في مخلوقاته على ما اقتضاه القانون الخَلْقِي التشبيهي».. ويقول «الإنسان الكامل هو مظهره الأكمل وجلاه الأفضل». فليشاهد القارئ كيف أيد الصوفية الحلول بكلمة «التجلي»، والحق أن التجلي الصوفي ليس إلا الحلول المسيحي)(٢).

فالحلول والاتحاد عقيدتان مصدرهما الدين المسيحي لأنهم أول من أشاع هذا القول في عيسى عليه السلام. قال محمد فهر (أما التصوف الإسلامي فقد كان يعطي العقائد المسيحية أشرفية، فقد قال بعض الصوفية بالحلول بالمعنى المسيحي «كالحسين بن منصور الحلاج» الذي يقول:

سبحان من أظهر ناسوته ... سر سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا الخلقه ظاهراً ... في صورة الآكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب

(١) الصوفية معتقداً ومسلكاً، ص٦٧.

(٢) دراسات في التصوف، إحسان إلهي ظهير، ص٢٩٢.

وفي هذه الأبيات إشارة إلى ثنائية الطبيعة الإنسانية: «اللاهوت، والناسوت». وهما اصطلاحان أخذهما الحلاج عن المسيحيين السريان.. والحلول عقيدة يقرنها المسلمون دائماً بالمسيحية)[١].

٦ـ العزوف عن الزواج:

فترك الزواج أمر مشترك بين الصوفية وأسلافهم من النصارى ولكي يتضح الأمر، فلقد ساق صاحب كتاب «التصوف المنشأ والمصادر» أقوالاً للصوفية تحث على العزوف عن النساء، ثم ساق أقوالاً مشابهة عن المسيح وأتباعه[٢] وقال بعد ذلك (هذا ومثل هذا كثير).

هذه هي تعاليم المسيحية، المنقولة منهم تجاه الزواج، ومن هذه التعاليم تأثر وليّ من أولياء المسيحية «أوريغن» الذي يعدونه أحد القديسين، العائش بين (١٨٥ـ٢٥٤) وجب ذكره.

والجدير بالذكر أن أحد المتصوفة أتى يمثل هذا العمل، وفعل فعلته فيه كما ذكر «الشعراني» عن عبدالرحمن المجذوب أنه فعله)[٣].

فكل من الصوفية والنصارى يحثون على ترك النساء ـ ظاهراً ـ ويعزفون عن الزواج كما ذكرنا (نقل «السهروردي» ـ المقتول ـ عن إبراهيم بن أدهم قوله «من تعود أفخاذ النساء لا يفلح»)[٤].

وجاء في الإنجيل (فقال المسيح: ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات، من استطاع أن يقبل فليقبل)[٥].

٧ـ الزهد وترك الدنيا:

وذكر لنا صاحب كتاب «التصوف المنشأ والمصادر» عند حديث عن

---

(١) التصوف بين الحق والخلق، محمد فهر شقفه، ص١٩. بتصرف.

(٢) انظر التصوف المنشأ والمصادر، ص٥٦ـ٦٣.

(٣) التصوف المنشأ والمصبادر، ص٦٣. بتصرف.

(٤) راجع المصدر السابق، ص٥٦.

(٥) المرجع السابق، ص٦٢ـ٦٣.

الزهد عند الصوفية، وقلة الأكل وترك الدنيا. بيّن لنا أن ذلك مأخوذ من عند الرهبنة المسيحية لا من الإسلام(١).

وقال ـ رحمه الله ـ في معرض كلامه (مع اعترافهم بأن هذه هي المسيحية كما نصّ على ذلك «أبو طالب المكي» حيث قال: روينا عن عيسى ـ عليه السلام ـ أنه قال «أجيعوا أكبادكم، وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل» فالنصوص في هذا المعنى أكثر من أن تُحصى أو تعد.. ثم قال: ولا علاقة لها بتعاليم الإسلام وإرشاداته.. كما أوردنا قبل ذلك توجيهات مسيحية وتعاليم رهبانية)(٢). فهذا أيضاً وجه شبه بين الفريقين كما بينه المؤلف، رحمه الله.

(ينقل ابن الملقن عن أستاذ الجنيد أنه قال: «علامة الفقير الصادق أن يفتقر بعد الغنى، وينحط بعد الشهرة)(٣) (وعلى ذلك قال «وآسين بلاثيوس، ونيكلسون» بأن ترك الدنيا، ومعنى التوكل حسب الاصطلاح الصوفي لا الشرعي ـ جاء في التصوف من المسيحية.

ونصّ «فون كريمر» على أن الزهد الصوفي نشأ بتأثير من الزهد المسيحي)(٤).

هذا وقد (ذكرنا ما فيه الكافية عن صلة الزهد في الإسلام بالرهبنة المسيحية.. وأن التأثير للرهبنة المسيحية لا الدين المسيحي من حيث هو دين)(٥). (وأخذ بعض متفلسفة الصوفية التثليث وإن كانوا فهموها بمعنى غير المعنى المسيحي، وذلك كابن عربي)(٦) صاحب الفصوص.

ومما سبق يتضح لنا أن الصوفية استفادوا كثيراً من المسيحية، فقد

---

(١) التصوف المنشأ والمصادر، ص٧٤ـ٧٩.

(٢) التصوف المنشأ والمصادر، ص٧٨ـ٧٩.

(٣) المصدر السابق، ص٧٨.

(٤) المرجع السابق، ص٧٩.

(٥) التصوف بين الحق والخلق، ص١٩. بتصرف.

(٦) المرجع السابق، ص٢٠.

ذكرنا سبعة أوجه من الشبه على سبيل الاختصار. وإلا (فإن هناك طائفة من القصص والأقوال التي تروى عن المسيح مما ورد في كتب الصوفية أنفسهم، ويمكن أن يؤخذ على أنه مصدر لبعض المذاهب الصوفية الإسلامية.

ثم ذكر المؤلف د. طلعت الغنام: ما روي عن المسيح أنه مرّ على قوم يعبدون الله خوفاً من النار، وآخرين شوقاً إلى الجنة، أما الفريق الثالث فعبدوا الله حباً له فقط. قال أبوطالب المكي: وفي لفظ آخر أنه قال للأولين: مخلوقاً خفتم، ومخلوقاً أحببتم، وقال لهؤلاء أنتم المقربون)(١) وبطلان هذا الكلام واضح، بل في الحقيقة هو إفك وبهتان. ولعل فيما سقناه من الشواهد والمظاهر والآثار كفاية ليتضح للقارئ أن الصوفية ولاشك قد تلقوا من النصرانية بعض تعاليمهم، وأنهم يتفقون معهم في كثير من الأمور. والله أعلم.

(١) أضواء على التصوف، د. طلعت غنام، ص٨٥-٨٦. بتصرف.

الفصل الثاني

المصدر اليهودي - ومظاهر ذلك



اليهودية في الأصل دين سماوي أرسل به أحد أولي العزم من الرسل ألا وهو النبي موسى ـ عليه السلام ـ. ثم أنه وبعد بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ـ سيد ولد آدم ـ نسخت جميع الديانات بما فيها اليهودية؛ فهو دين باطل، والباطل لا يُعد مرجعاً ولا أصلاً!! ولكن الصوفية بفطرهم المنتكسة وغشاوة أبصارهم لم تتضح عندهم المعالم فأخذوا تعاليمهم من كل ما صادفهم من حق أو باطل. ومن تلك الينابيع «اليهودية».

فالصوفية لهم (عقائد تخالف المعتقدات الإسلامية اكتسبوها من الديانات اليهودية والنصرانية...)[1] و(أول ما نلاحظه أن «جولدزيهر» اليهودي هو حامل راية تأثر الصوفية المسلمين باليهود)[2].

ولهذا التشابه والاستفادة مظاهر، تدلنا على أن اليهودية أيضاً تعد مصدراً من مصادر التلقي وأخْذ العبادات عند الصوفية. ومنها:

١ـ الذكــــر:

عنون صاحب كتاب «هذه الصوفية» عنواناً وسط كتابه قال فيه: (ذكر الصوفية بدعة يهودية» ثم قال:

جاء في المزمور التاسع والأربعين بعد المائة: «ليبتهج بنوصهيون بملكهم ليسبحوا اسمه برقص، بدف، وعود، ليرغوا.. هللوايا، سبحوا الله في قدسه، سبحوه برباب وعود، سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار ومزمار، سبحوه بصنوج الهتاف».

ثم قال المؤلف: وهكذا يذكر الصوفية!! وحسبك أن ترى حانة صوفية يذكرون بها؛ لتشهد الصلة الوثيقة بين الذكر الصوفي، والبدعة الجاهلية اليهودية...)[3].

---

(١) التصوف بين الحق والخلق، ٦١.

(٢) أضواء على التصوف، ص١١٦. وانظر الفلسفة الصوفية في الإسلام، د. عبدالقادر محمود، ص٢١.

(٣) هذه هي الصوفية، ص١٤٣. بتصرف.

فكما نُقل عن المزامير يُلاحظ في عالم الواقع اليوم عند الصوفية، بل أشد من ذلك.

ومهما أنكر الصوفية هذه التبعية؛ فإن الوصية اليهودية، وما عليه الصوفية اليوم يؤكد لنا وجود ترابط واستفادة، ثم أنه مما يؤكد هذا الاحتمال تقدم اليهودية وسبقها للصوفية، فاليهودية أقدم من الصوفية بل من الإسلام(1).

يذكر لنا صاحب كتاب «التصوف المنشأ والمصادر» عند كلامه عن مصادر التصوف فيقول: (وقال الآخرون: إن التصوف وليد الأفكار المختلطة من الإسلام واليهودية...)(2).

(بل بعكس ذلك نراها - أي الصوفية - مأخوذة من الرهبنة المسيحية وتنسك اليهودية ومقتبسة منها...)(3).

وهذا يؤكد لنا ما ذكرناه آنفاً من اتفاق الفريقين في بعض الأمور والعبادات كالذكر، لاسيما وقد ذكر ذلك من خبرهم وعرف أسرارهم. ولاشك أن هذا التلقي يُعد من أكبر القوادح في الصوفية، ويحط من مكانتها.

٢ـ مسألة الغلو:

إن (الغلو الشيعي وكثرة وضع الأحاديث الملفقة الداعية إلى تقديس الأئمة، والقول بتناسخ الجزء الإلهي في علي - رضي الله عنه - وتقديس أبنائه - الأئمة - من بعده، كان وراء ذلك كله أصابع يهودية لعبت الدور الأكبر في وقوع الغلو الذي أخذه المتصوفة وغلوا به في أقطابهم وأبدالهم وأوتادهم)(4).

---

(١) انظر هذه الصوفية، ص١٦٥-١٦٦.

(٢) التصوف المنشأ والمصادر، ص٤٩.

(٣) المرجع السابق، ص٥٠. بتصرف.

(٤) أبو حامد الغزالي والتصوف، ص١٤٦.

فتقديس المشائخ والغلو فيهم إنما هو مأخوذ من اليهودية ولا يمنع أن تكون الاستفادة بواسطة الشيعة، فالمصدر واحد.

٣ـ طقوس العبادة:

(ثم لا يفوتنا أن نذّكِّر بالتشابه الذي نجده بين طقوس العبادة الجماعية عند اليهود وما يتخللها من تمايل وتصفيق وضرب بالدف والمزامير ورقص. وبين ما يفعله الصوفية في خلواتهم وحلقاتهم من تمايل وتصفيق، وكلا الفريقين يتقرب بذلك إلى الله. ولقد جاء في سفر المزامير من التوراة «٣٣ و ٨١ و ١٤٩ـ١٥٠»: «ليبتهج بني صهيون بملكهم، ليسبحوا اسمه برقص، ...)[١] إلى آخر النص الذي ذكرناه من قبل[٢].

فسلوك اليهود والصوفية يتشابه بل يتفق في العبادة، مما يؤكد لنا أنهم تلقوا هذا النوع من العبادة ـ الرقص، الغناء.. من اليهود أصحاب قدم السبق في هذا المجال.

٤ـ تحريف الكلام عن مواضعه:

ومن أوجه الشبه بين اليهود والصوفية ـ والذي يؤكد لنا استفادة اللاحق من السابق ـ تحريف الكلام عن ظاهره، وهو (ما يدعيه المتصوفة على الإسلام، من ظاهر وباطن؛ وأن هناك ما هو ظاهر من دين الله؛ هو خطاب للعوام، وأن هناك باطناً، اختص الله تعالى بفهمه المصطفين من عباده، وهم المتصوفة؛ أهل الولاية والكشف!! وهذا التلاعب بالكلمات، ولَيّ الألسنة بالألفاظ؛ هو من تحريف الكلم عن مواضعه؛ الذي هو السمة الغالبة على اليهود...)[٣].

---

(١) أبو حامد الغزالي والتصوف، ص١٤٦.

(٢) انظر، ص٣٤.

(٣) التصوف والمتصوفة، ص٢٨٥.

فكما أن الصوفية يتمتمون بألفاظ ويلوكون ألسنتهم بكلام لا يفهمه السامع، فإن اليهود أيضاً يحرفون الكلم عن مواضعه، قال تعالى: «فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه...» [المائدة، ١٣].

هذا (ولما وجدوا الفرق اليهودية «اليوذغانية» وغيرها تقول بأن للتورارة ظاهراً وباطناً، أكدوا ذلك في أساس المنهج الصوفي)(١).

فكما أن اليهود ادعوا للتوراة ظاهراً وباطناً. فإن الصوفية ولتأثرهم باليهود جعلوا للقرآن ظاهراً وباطناً. بل لقد غالى الصوفية فجعلوا لكل شيء ظاهراً وباطناً. هذا وقد أفاد الصوفية كثيراً من اليهود.

٥ـ الحلـــول:

ومن مظاهر استفادة وتأثر الصوفية باليهودية قول عبدالكريم الخطيب مجملاً:

(ولقد كان ظهور التصوف في الإسلام، فرصة انتهزها أعداء الإسلام فدخل كثير منهم في عالم التصوف، ونشروا فيه مذاهبهم الفاسدة، من الحلول ووحدة الوجود.. وكان لليهود دور كبير في مساندة كل دعوة منحرفة عن الإسلام)(٢).

فالتصوف إذاً فيه صناعة يهودية، ولكم استفاد التصوف من اليهود سواء في «الذكر، أو القول بالحلول» فكل هذه الأقوال مصدرها إما «اليهود، أو التوراة» ـ المزامير ـ.

---

(١) الفلسفة الصوفية في الإسلام، ص٢٢.

(٢) التصوف والمتصوفة، ص٢٦٨.

الفصـل الثـالــث

المصدر الهندي «برهمي وبوذي» ومظاهـــر ذلــك



للهند تاريخ طويل مليء بالديانات واللغات والأفكار، ولقد تأثرت الهند وأثّرت في كثير من المذاهب؛ وهذا ما جعلها مصدراً من مصادر التلقي عند الصوفية. و(لقد كان «أبو الريحان البيروني» أول من عقد مقارنات في المذاهب وكشف عن هذا التشابه بين مذاهب الهنود «كالفيدانتا» وبين مذاهب الصوفية، وكذلك بين «بيتنجل» وبين أقوال «أبي يزيد البسطامي» و«الحلاج» و«الشبلي»)(١).

يقول الأستاذ إحسان ـ رحمه الله ـ (وأما كون التصوف وتعاليمه وفلسفته، أوراده وأذكاره، وطرق الوصول إلى المعرفة، والمؤدية إلى الفناء، مأخوذة مستقاة من المذاهب الهندية والمانوية.. فلا ينكرها منكر، ولا يردها أحد، ولا يشك فيها شاك، بل إن كبار الكتاب عن التصوف والباحثين فيه.. وحتى الصوفية أقروا بذلك...)(٢).

فالطريقة الرفاعية إنما أخذت تقديس الحيوانات، والإحجام عن قتلها من «مبدأ الأهنسا» الهندي، بل كان الرفاعي (إذا مرّ أمامه خنزير يقول له: «أنعم صباحاً»)(٣).

فلقد (تأثر الرفاعي بعقيدة الأهنسا الهندية، وهي الإحجام عن قتل المخلوقات أو إيذائها ولو كانت من القمل أو الجراد)(٤).

فالكلام السابق بمجمله يدل على أن التصوف بُني على أصول هندية. ومن مظاهر هذه الاستفادة وتلك التبعة، مايلي:

١ـ الطقوس الدينية «من البوذية»:

هناك (من يقول إن الفناء الصوفي نوع من النرفانا الهندية.. ومع ذلك فقد كان للتصوف الهندي أثره في بعض نواحي التصوف الإسلامي،

---

(١) أبو حامد الغزالي والتصوف، ص١٤٠ـ١٤١.

(٢) التصوف المنشأ والمصادر، ص٩٧.

(٣) الرفاعية، عبدالرحمن دمشقية، ص٣١.

(٤) المرجع السابق، ص٣٠.

لاسيما ما يتصل منها بالطقوس الدينية والرياضات الروحية وأساليب مجاهدة النفس)[1]. فأساليب مجاهدة النفس قديمة عند الهنود، بل إن الزهد والتصوف هو الذي تميزت به مدينة «بلخ» الهندية. فلقد (كانت قبل الفتح الإسلامي بقرون من أهم مراكز التصوف البوذي ومراكز لكثير من الأديرة القديمة. وقد استمرت شهرة هذه المدينة وسمعتها الصوفية بعد الإسلام، ونشأ فيه عدد كبير من أوائل المتصوفة منهم «إبراهيم بن أدهم» الذي قال فيه الأستاذ ـ كما زعم المؤلف ـ «جولدزيهر» أن قصته حيكت على مثال قصة بوذا...)[2].

وهذا ما يجعلنا نقول إن التصوف قد استفاد من البوذية الهندية وإن لم يصرحوا بذلك فالرسم واحد والطريق متحد. بل إن الغزالي صرح بذلك حيث يقول: («وعبّاد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على رجل واحدة لا ينتقل عنها». «وبعض الشيوخ ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع.. فهذه الأمثلة تعرّفك طريق معالجة القلوب» وفي الميزان: «فهذا طريق جملي في تهذيب الأخلاق)[3].

وسياق «الغزالي» لتلك الحكاية مع ما حاكاها من قصص الصوفية فيه دليل على تأييده لفكرة الاستفادة من البوذية الهندية، وكأن هذا الشيء مسلّم عنده.

٢ـ التأثر بالبرهمية الهندية:

ومما يؤكد صحة القول بأن الهندية ومذاهبها من أهم مصادر التصوف ما قاله «عبدالرحمن دمشقية» حيث يقول: (وعلى هذا «نرى أن

---

(١) التصوف بين الحق والخلق، ص١٨.

(٢) التصوف بين الحق والخلق، ص١٩.

(٣) أبو حامد الغزالي والتصوف، ص١٤٤.

التصوف الإسلامي قد تأثر بالاتجاه الهندي عموماً ـ والبرهمي خصوصاً ـ ولكن لم يتأثر بفلسفة الحياة البوذية وإن كان قد أشبهها في بعض مراحلها في «الفناء مثلاً، وفي الرياضة.. إلى أن يقول: إذن فالقول «بالفناء» الذي يدين به الصوفية هندي بحت، وحتى الطريقة الممهدة لحصول هذا الفناء ـ وهي طريقة الرياضة، ومخالفة الشهوة وتعذيب الجسد ـ هي طريقة هندية أخذها الصوفية عنهم.. وهذا ليس بسر، فالصوفية يصرحون بذلك ويشيرون إلى عبادة الهنود، ورياضاتهم ويتمثلون بها مما يؤكد أخذهم عن هذا المصدر)[1].

بل إن أحوال الصوفية وعبّاد الهنود البوذية تتشابه. فهم يزهدون في الدنيا ولا يلبسون إلا القليل والكل منقطع في خلوته ومعبده. فالهندية مصدر من مصادر التلقي عند الصوفية.

٣ـ الفنـاء:

من العقائد المهمة، بل هو التوحيد عند الصوفية «الفناء» عن الشهود وذلك أخذاً من المذاهب الهندية. يقول د. قاسم غني (والاعتقاد «بالفناء» وانمحاء الذات الذي يسميه الصوفية «الفناء» و«المحو» أو «الاستهلاك» هندي في الأصل كما يبدو، ... ومن أوجه الشبه بين البوذية وبين طرق التصوف مسألة المقامات التي يرتقي فيها السالك.. حتى يصل إلى مقام الفناء)[2].

ويقول د. صابر طعيمة (وفيه ـ أي التصوف ـ من الهندية «تجريده وفناؤه»، فقوامه «الفناء في الله» بالاستعلاء بالصفات البشرية لتزكية الصفات الإلهية في النفس وهو: ليس «كالنرفانا» الهندية محواً تاماً

---

(١) أبو حامد الغزالي والتصوف، ص١٤٣ـ١٤٤.

(٢) تاريخ التصوف في الإسلام، ص٢٣٠ـ٢٣١. باختصار.

للشخصية الإنسانية، بل هو فناء يعقبه بقاء، أو محو يعقبه صحو...)[1] يقول «بوذا» مؤكداً لعقيدة الفناء (ولكن هدف الصوفي أكثر من ذلك هو أنه يريد أن يصل بالفناء في الله إلى البقاء بالله)[2]. وقد أخذ الصوفية هذه العقيدة كما حكاها «بوذا». ثم إن «د. طعلت غنام» وضع سؤالاً قال فيه (هل التصوف من أصول هندية؟ ثم أجاب: إن التصوف يشبه إلى حد كبير الصورة الخاصة التي انفردت بها الروحانية الهندية. وهي مرتبطة أحكم الارتباط بمذهب «الفيدا» «كتاب الهند المقدس» وبمذاهب الهنود المختلفة في تلك العصور)[3].

فهناك عقائد في الصوفية أخذوها من المذاهب الهندية وغيرها يقول د. الجليند (لقد غالى أصحاب الفناء في مذهبهم، ونتج عن هذا الغلو في التعبير عنه مذاهب منحرفة، ولا علاقة لها بالإسلام أصلاً.. وإنما هي آثار أجنبية دخيلة.. سواء وفدت إليها من ثقافة فارسية كما يقول البعض، أو من أصل غنوصي مسيحي كما يرى البعض الآخر، أو من ثقافة هندية...)[4].

ولاشك أن أكبر همٍّ لدى الصوفية هو الوصول إلى مرتبة الفناء، وقد بيّنا مصدرها في الأسطر الماضي.

ولولا ضيق الوقت، ومحدودية البحث لأطلت، والله أعلم.

٤ـ وحدة الوجود:

هناك وجه شبه بين المذاهب الهندية والصوفية في القول بوحدة الوجود وتأليه كل شيء. بل (إن أساس نظرية وحدة الوجود لدى ابن عربي نجد

---

(١) الصوفية معتقداً ومسلكاً، ص٧٣ـ٧٤.
(٢) تاريخ التصوف في الإسلام، ص٢٣٤.
(٣) أضواء على التصوف، ص٢٣.
(٤) من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة، د. محمد السيد الجليند، ص٧٩.

بذورها كما ذكرنا إجمالاً في حديثنا عن المصادر الأصلية للنظريات الصوفية لدى الصوفية الهندية...)[1] وقد ذكر الأستاذ إحسان في موضع آخر (أن أكثر الصوفية الأعاجم خلطوا بين الفلسفة الفارسية القديمة أو الهندية وما قبسوه عن اليونانية والأفلاطونية الحديثة وبين تصوفهم الخاص.

وقد تأثر أمثال أولئك ببراهمة الهند والفرس[2] في أزيائهم وطقوسهم واعتنقوا قدراً من أفكارهم...)[3].

يقول صاحب كتاب «التصوف المنشأ والمصادر» (وأما قضية وحدة الوجود والحلول والاتحاد، العقائد التي نادى بها «الحلاج» و«ابن عربي» و«جلال الدين الرومي» وغيرهم ممن سلك مسلكهم، ونهج منهجهم. فلم يشك أحد في كونها مأخوذة مقتبسة بتمامها من «فيدانتا» الهندية.

ومن قرأ آراء «شنكر أجاريا» في فلسفة «فيدانتا» عرف جيداً أنها عين ما قاله الحلوليون والاتحاديون وأصحاب وحدة الوجود... وحتى الأسلوب والمنهج والتعبير وبيان الطرق الموصلة إلى حصول المعرفة والإدراك)[4].

فالقول بوحدة الوجود أخذه متصوفة الإسلام من المذاهب الهندية ولا ريب ويكفينا ما تنطق به مصادر الفريقين.

---

(١) الصوفية معتقداً ومسلكاً، ص١٨١.

(٢) تنبيه: لقد دمجت المصدر الفارسي بالهندي، لقوة الصلة بينهما، ولتقاربهما، وهناك من يفرق بينهما. انظر الفلسفة الصوفية في الإسلام، د. عبدالقادر محمود، ص١٧ـ٢١ حيث تحدث عن المصدر الفارسي مستقلاً.

(٣) الصوفية معتقداً ومسلكاً، ص١١٩.

(٤) التصوف المنشأ والمصادر، ص١١٤.

٥ـ الاتفاق في مسألة التسول:

من المعلوم لدى الباحثين أن الصوفية لا يعملون بل هم ممن قعد عن كسب الرزق وعاش متسولاً، مثلهم في ذلك تعاليم «بوذا».

يقول إحسان ـ رحمه الله ـ (والمعروف أن التسوّل والاستجداء والوقوف على أبواب الناس، وحمل المخلاة والكشكول من لوازم الديانة البوذية، ومن نصائح «بوذا» «الثمانية» المشهورة التي نصح بها دراويشه ورهبانه،.. أو المكوث في الخانقاوات والانشغال بالذكر.

ولقد أخذت الصوفية هذا النظام بكامله من البوذية، وألزموا أنفسهم به، كأنهم هم الذين نصحهم «بوذا» بذلك. فيقول «الطوسي»: «الأكل بالسؤال أجمل من الأكل بالتقوى»)[١].

فاتفاق رؤوس كل من الفريقين في النصح والأمر بالتسول يؤكد لنا أن مصدر هذا المظهر بوذا.

فالصوفية ولاشك قد اعتبروا المذاهب الهندية من مصادرهم في التلقي، وأخذوا عنهم.

---

(١) التصوف المنشأ والمصادر، ص١٠٣.

الفصـــل الرابـــع

المصـدر اليـونـانــي

«أفلاطونية حديثة، الفكر الغنوصي» ومظاهـر ذلـك



أولاً: الأفلاطونيـــة الحديثـــة

تعد الأفلاطونية الحديثة من أهم مصادر التلقي لدى الصوفية، ولقد ذكر البروفسور «يوسف سليم جشتي» في كتابه عن التصوف بعدما استعرض آراء الأفلاطونية الحديثة مفصلة. قال (إن التصوف لم يُقتبس، ولم يؤخذ إلا من المنابع الصافية والمصادر الطاهرة، وعلى رأسها الأفلاطونية المحدثة، وتبنى الشيخ الأكبر «محيي الدين بن عربي» نفس الأفكار التي نشرها «أفلوطين الأسكندري»)[1].

فهذا أحد المغترّين بالتصوف صرح بتلك الاستفادة والتلقي. وقد ذكر كثير من الكتّاب - إن لم يكن كلهم - ذلك، يقول إحسان - رحمه الله - (ولقد ذكر جمع من الكتاب والباحثين في التصوف ممن اشتغلوا بالتصوف من المسلمين وغير المسلمين. وقل من شذّ عنهم أن الأفلاطونية الحديثة هي أحد المصادر الأساسية للتصوف، بل إنها المصدر الأول بالنسبة للقائلين بوحدة الوجود والحلول...)[2].

ومما يؤكد لنا ما ذكرناه آنفاً؛ تصريح أحد الصوفية المعاصرين كما نقل ذلك عنه الأستاذ إحسان حيث يقول: (وأما وحدة الوجود الحلولية التي تجعل من الله كائناً يحل في مخلوقاته أو الاتحادية.. استمده أهل الشذوذ في التصوف الإسلامي من الفلسفة البائدة، وغذوا به مذهبهم الشاذ بفكر أفلاطونية وآراء بوذية وفارسية عن طريق «الفارابي» و«ابن سينا»، حاله أن المتتبع لحياة «الحلاج» ومؤلفات «السهروردي و«ابن عربي» يرى أنهم تأثروا بالمتفلسفة المسلمين الذين أخذوا عن الفلسفة

---

(١) التصوف، المنشأ والمصادر، ص١٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص١٢١.

(٣) المرجع السابق، ص١٢١.

الأفلاطونية القديمة والأفلاطونية الحديثة...)[1] فهذا قد شهد على حزبه التبعية.

يقول «محمد فهر» حين تحدث عن المصدر الثالث للتصوف «الأفلاطونية الحديثة» قال: (وقد يطول بنا الكلام لو عددنا الأفكار الأفلاطونية الحديثة التي تسربت إلى التصوف الفلسفي الإسلامي وامتزجت بعناصره الأخرى...)[2].

بل إن التواريخ تفيد أن أول فلسفة عرفها المسلمون كانت هي «الأفلاطونية المحدثة»، ولقد كانت مزيجاً من فروع الفلسفة والتصوف والدين المختلقة[3]. وفيمايلي نذكر بعضاً من مظاهر التشابه بين الفريقين، وبعض العقائد التي استفادها الصوفية من اليونان أو الأفلاطونية المحدثة.

١ـ القول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود:

ذكرنا فيما مضى أن الصوفية استفادت هذه العقيدة من النصرانية والمذاهب الهندية، وسنثبت هنا ـ بمشيئة الله ـ أن الصوفية أخذت هذه العقيدة أيضاً من الأفلاطونية الحديثة. فـ(القول بوحدة الوجود، مذهب قديم، دان به فلاسفة الهنود، كما دان به كثير من فلاسفة اليونان)[4].

أقول: عرض «د. طلعت غنام» بعض الأقوال التي تُنسب إلى «أبي يزيد البسطامي» ومنها نظريته الصارمة في وحدة الوجود والحلول وقوله في («إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني» «سبحاني ما أعظم شأني» خرجت من «بايزيدتي» كما تخرج الحية من جلدها، ونظرت فإذا العاشق

---

(١) التصوف المنشأ والمصادر، ص١٢١.

(٢) التصوف بين الحق والخلق، ص١٦.

(٣) انظر تاريخ التصوف في الإسلام، ص١١٧ـ١١٨.

(٤) التصوف والمتصوفة، ص١٣٧.

والمعشوق والعشق واحد. لأن الكل واحد في عالم التوحيد)[1].

قال «د. طلعت» بعد ذلك (وإذا رجعنا إلى أفلاطون نجد عنده نفس العبارة الأخيرة يقول أفلاطون يحكي عن نفسه ما معناه: «إني ربما إذا خلوت بنفسي وخلعت بدني.. فأكون داخلاً في ذاتي خارجاً عن سائر الأشياء.. فاعلم أني جزء من أجزاء العالم الأعلى الشريف)[2].

وليس في هذا الاتفاق أي نوع من الغرابة وذلك لأن التشابه مقصود ومراد فـ«الأفلاطونية الحديثة» من أهم مصادر التصوف الدخيلة على الإسلام (وموضوع وحدة الوجود في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة جذب أنظار الصوفية أكثر من أي شيء...)[3].

يقول الأستاذ «أنور الجندي» (غير أن التصوف لم يلبث مع حركة المجتمع أن انحرف عن مفهومه فأضاف إليه مقومات فلسفية مستمدة من الثقافات والمذاهب اليونانية ـ موضع الحديث ـ والهندية، وكان أسوأ ما أضاف نظريات الاتحاد والحلول ووحدة الوجود وبذلك انحرف عن مفهوم الفكر العربي الإسلامي وقانونه القائم على التكامل والوسطية)[4].

فالقول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود عقائد دخيلة على التصوف سواء من المذاهب الهندية أو المذاهب اليونانية. يقول عبدالكريم الخطيب: (فالزاهد المتصوف، الذي نبذ الدنيا،.. وسما بروحه إلى الخالق الأعلى وملاذه الأوحد، يجد ما يثبت يقينه بمنهج حياته الذي نهجه، وما يقوي نزعة الروحية الإلهية. يجد هذا في مذهب الفيض

(١) أضواء على التصوف، ص٣٢-٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص٣٣.

(٣) تاريخ التصوف في الإسلام، ص١٤٣.

(٤) القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية، أنور الجندي، ص٤٣٧.

الإلهي عند «أفلوطين»، ونظرته في وحدة الوجود)[1] فالافلاطونية الحديثة من مصادر التصوف ولاشك.

٢ـ المصطلحات:

لقد (أخذ التصوف عن الفكر اليوناني بشتى مذاهبه وطرائقه المتعددة وكان أبرزها الفكر الغنوصي، والأفلاطوني المحدث)[2] فإذاً مسألة أن المذاهب اليونانية من مصادر التصوف لاشك فيها. يقول دمشقية: (وحتى المصطلحات التي يستعملها الصوفية في المثل أو المعاني الأزلية، كالحقيقة، وحقيقة الحقائق، والعلة والمعلول، والوحدة في الكثرة، والاتحاد. كل هذه تعود في أصلها إلى الأفلاطونية المحدثة التي تعود بدورها هي الأخرى إلى الغنوص الشرقي والغربي)[3]. فالصوفية حين تطورت أصبح لديها مصطلحات لم يعرفها السلف الصالح كالعلة والمعلول والحقيقة.. وحين نحقق في المسألة نجد أنها قادمة من الفلسفات اليونانية وخاصة الأفلاطونية المحدثة منها.

يقول د. الجليند (ذو النون المصري الإخميمي كان أصله قبطياً من أهل «النوبة» في صعيد مصر.. إلى أن يقول عنه: وأول من وقف على الثقافة اليونانية، ومذهب الأفلاطونية المحدثة من المتصوفة، وخاصة ثيولوجيا أرسطو في الإلهيات)[4].

وذكر في معرض حديثه عن «المعرفة» وآراء الناس فيها (ومن جانب آخر نجد حديث البعض عنها ـ أي المعرفة ـ يأخذ شكلاً عرفانياً أفلاطونياً...)[5].

---

(١) التصوف والمتصوفة، ص١٢٩.

(٢) أبو حامد الغزالي والتصوف، ص١٣٨.

(٣) المرجع السابق، ص١٣٩.

(٤) من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة، ص٩٣.

(٥) المرجع السابق، ص١٠٥.

وبهذا يتبين أن الصوفية اعتمدت في المصطلحات على الأفلاطونية المحدثة تقريباً.

٣ـ الرياضة:

أيضاً يتفق الصوفية وأفلوطين عند رياضة النفس أيضاً، ولذلك فهم (متفقون على أن «رياضة النفس» هي الشرط لحصول الاتصال بالله والاتحادية واتفقوا في نظرهم إلى الفيض والإشراق والمعرفة. ولكن مصدر أفلوطين كان هندياً بحتاً)[1]. هذا (ولأجل ذلك ذهب معظم المستشرقين إلى أن الأفلاطونية الحديثة من أهم مصادر التصوف، وخاصة للتصوف المتأخر من القرون الأولى)[2].

فرياضة النفس مصدرها الأول مذاهب الهند، ولكن الصوفية أخذوها من الأفلاطونية الحديثة. يقول عبدالكريم الخطيب (وقد نفدت تعاليم الأفلاطونية الحديثة إلى نطاق الحياة العقلية في الإسلام، ويعد هذا الحادث ذا أهمية حاسمة، من جهة التصوف الإسلامي)[3].

(وهكذا فقد اتجهت الصوفية، كما اتجهت الأفلاطونية المحدثة، إلى اعتبار المعرفة الحاصلة من الحدس المباشر بواسطة النفس الناطقة أهم وأعظم من المعرفة المعتمدة على استعمال الدلائل، وإلى وضع الكشف المباشر بالتالي فوق ما يوصف عادة بأنه العقل. وخط التطور هذا عام بين جمع أشكال التصوف)[4] وذلك لا يحصل إلا بالمجاهدة والرياضة؛ فإذاً مسألة الرياضة كانت عند أفلاطون قبل المتصوفة، وقد استفادوها منه.

---

(١) أبو حامد الغزالي والتصوف، ص١٤٠.

(٢) التصوف المنشأ والمصادر، ص١٢٨.

(٣) التصوف والمتصوفة، ص١٢٨.

(٤) الصوفية معتقداً ومسلكاً، ص٦٦.

* وقد أجمل الحديث صاحب كتاب «التصوف بين الحق والخلق» فذكر أن نظريات الصوفية في الكشف والشهود أفلاطوني حديث، وكذلك نظرياتهم في المعرفة وفي النفس وهبوطها إلى هذا العالم، وفي العقل الأول والنفس الزكية بل وفي الفيوضات. قال بعد ذلك (كلها مستمدة من مصادر أفلاطونية حديثة مع قليل أو كثير من التحوير)[1].

فهناك الكثير والكثير من النظريات في التصوف الإسلامي، و هي مستقاة من اليونان، وخاصة الأفلاطونية الحديثة.

هذا (وقد أثر في التصوف والعرفان ذيوع آراء أفلاطون وظهور الفلسفة الأفلاطونية الحديثة بين المسلمين أكثر من أي شيء.

وبعبارة أخرى، أحرز التصوف الذي كان إلى ذلك الحين زهداً عملياً أساساً نظرياً وعلمياً)[2].

ولعل الشق الثاني من المصدر اليوناني يوضح لنا ما ذكرناه من أن الصوفية جعلت من اليونانية مصدراً لها في تلقي الشرع أو بعضه.

ثانياً: الفكر الغنوصي

سبق الحديث عن الشق الأول من المصدر اليوناني، وفيما يلي سنعرض الشق الثاني منه؛ وهو الفكر الغنوصي. ولقد ذكر هذا التقسيم بعض الباحثين، فبعدالرحمن دمشقية قسّم المصدر اليوناني كما قسمته وجعل الفكر الغنوصي أولاً. ثم ليكن في الحسبان أن ما ذُكر في الشق الأول يصلح أن يُجعل في الشق الثاني؛ ولكن سنشير إشارة سريعة عن هذا الفكر.

---

(١) التصوف بين الحق والخلق، ص١٦-١٧. باختصار.

(٢) تاريخ التصوف في الإسلام، ص١٤٣.

يقول دمشقية (وقد أخذ التصوف عن الفكر اليوناني بشتى مذاهبه وطرائقه المتعددة وكان أبرزها «الفكر الغنوصي» والأفلاطوني المحدث)(١) وهذا مستند تقسيمنا السابق.

ويقول إحسان ـ رحمه الله ـ (حيث شكّلت مذاهب الفيض والإشراق والمعرفة والجذب والحلول والاتحاد ووحدة الشهود ووحدة الوجود، وكل مركبات «الثيوصوفية» بتأثير الأمشاج المختلطة مع الغنوص الشرقي القديم)(٢).

فالغنوصية اليونانية أثّرت في التصوف كما الأفلاطونية المحدثة فلا تقل إحداهما عن الأخرى من حيث الأهمية. فالتصوف قد استند على الفكر الغنوصي، ومما يؤكد لنا ما قلناه، هو ما ساقه «د. صابر» حيث يقول (وخلاصة الرأي الأول القائل بأن المنابع والمصادر للصوفية تيارات فكرية وعقائد أجنبية غير إسلامية يركز على أهم وأقوى المؤشرات في الصوفية، بل وفي ظهور علم الكلام والمتكلمين وخاصة المعتزلة وهو «الفكر الغنوصي»)(٣).

وهذا مما لاشك فيه وذلك لأن الصوفية عندهم اصطلاحات هي نفسها وجدت أول ما وجدت عند الغنوص ومنها «المعرفة».

يقول محمد فهر في معرض حديثه عن المصدر الأفلاطوني للتصوف (وكذلك نظرياتهم ـ أي الصوفية ـ «المعرفة» التي هي ترجمة لكلمة «غنوص» اليونانية.. كلها مستمدة من مصادر أفلاطونية حديثة مع قليل أو كثير من التحوير)(٤)، فالغنوصية اليونانية لها تأثير في الصوفية إلا أنه لا يصل إلى حدّ تأثير الأفلاطونية الحديثة.

---

(١) أبو حامد الغزالي والتصوف، ص١٣٨.
(٢) التصوف المنشأ والمصادر، ص١٢٣.
(٣) الصوفية معتقداً ومسلكاً، ص١٢٥.
(٤) التصوف بين الحق والخلق، ص١٦ـ١٧.

يقول دمشقية (فدخل الغنوص دوائر النظريات الفلسفية في الإسلام وشاع في النظريات الصوفية، وكان الغنوص سبباً في ظهور علم الكلام والمتكلمين وخاصة المعتزلة.

وقد تلقى الصوفية الجوانب الباقية من الفكر الغنوصي عن طريق المثل والتعاليم المسيحية، حيث أن هذه التعاليم مشبعة تماماً بهذا الفكر)[1].

فقد يكون الفكر الغنوصي وسيلة وقد يكون مصدراً، وذلك لأن البعض بل الكثير ـ على حسب اطلاعي ـ لم يفرده، بل إن عبدالرحمن دمشقية هو من فرق بين الأفلاطونية الحديثة والفكر الغنوصي ـ كما أعلم ـ وجعل لكل موضوع عنواناً مستقلاً.

وأرى أن الفكر الغنوصي أثّر في التصوف تأثيراً بالغاً ونقله عن كونه ديناً إلى كونه فلسفة عقلية ولكن تأثيره أقل من «الأفلاطونية الحديثة». ويؤكد ما ذكرناه آنفاً ما قاله د.«إبراهيم هلال» نقلاً عن «نيكولسون» (ومما يحملنا على الجزم بوجود أثر للفلسفة اليونانية في التصوف الإسلامي أن نظرية «المعرفة» فيه ظهرت في غربي آسيا ومصر في بلاد تأصلت فيها الثقافة اليونانية أحقاباً طويلة)[2].

ولهذا فالباحثون عموماً ذكروا هذا المصدر واتفقوا على عدّه مصدراً للتصوف ومؤثراً فيه.

---

(١) أبو حامد الغزالي والتصوف، ص١٣٩.

(٢) التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة، ص١٧.

الفصل الخامس

المصدر الشيعي

ومظاهر ذلك



قد يستغرب البعض ويقع في حيرة حين يرى أننا جعلنا الشيعة مصدراً من مصادر التصوف يتلقون منه تعاليمهم.

يزيل هذه الحيرة الشيخ «إحسان إلهي» رحمه الله حين جعل التشيع من مصادر التصوف بل أفرد مقارنتهما بعنوان خاص[1] ثم إنه وبعد بيانه لخطر الشيعة وما نتج عنها من الفرق والأهواء؛ قال: (فكان إحدى هذه الفرق والنحل والمشارب والمذاهب، الصوفية والتصوف، كما يظهر لمن درس كتب التاريخ والعقائد والمسالك، وتعمق في منشأ ومولد الطوائف والنحل أن كل فتنة ظهرت في تاريخ الإسلام. وكل ديانة طلعت من العدم إلى الوجود كان رأسها ومديرها، أو منشئها ومدبرها واحد من الشيعة.

وكذلك كان أمر الصوفية. فإن الثلاثة الذين اشتهروا في التاريخ الإسلامي باسم الصوفي.. كان اثنان منهم من الشيعة أو متهمين بالتشيع، كما أن هؤلاء الثلاثة كلهم من موطن الشيعة آنذاك وهو الكوفة)[2].

نُقل عن جابر بن حيان (أنه أخذ جميع علومه عن جعفر الصادق معدن الحكمة، وأنه ليس إلا الناقل المحض والمرتب)[3].

ومما يدل على أن الشيعة مصدر من مصادر التصوف هو اتفاق الفريقين في مسائل وأمور منها:

١ـ مفهوم الولاية:

قال زعيم الشيعة الهالك «الخميني» (إن من ضروريات مذهبنا أنه لا

---

(١) انظر التصوف المنشأ والمصادر، ص١٣٧.

(٢) التصوف المنشأ والمصادر، ص١٣٨ـ١٣٩.

(٣) المرجع السابق، ص١٣٩.

ينال أحد المقامات المعنوية الروحية للأئمة حتى ملك مقرب ولا نبي مرسل..)[1].

ويقول أيضاً (إن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل وأنهم يتحكمون في قرارات هذا الكون)[2]. سبحان الله فما معنى توحيد الربوبية الذي أقرّ به المشركون مع شركهم، ومن هو الربّ إذا كان الكون يتحكم فيه الأئمة؟

وعند رجوعنا إلى آثار الصوفية في الولاية نجدها متقاربة، يقول الصوفي الكبير عبدالقادر الحلبي المعروف بابن قضيب البان (كل ما خُصّت به الأنبياء، خُصت به الأولياء)[3] فعقائدهم متقاربة وذلك لأن الشيعة مصدر من مصادر التصوف. ولقد عقد د. «إبراهيم هلال» مبحثاً عنونه بـ(مفهوم الولاية عند غلاة الصوفية، وصلة ذلك بمفهوم الإمامة عند غلاة الشيعة)[4] ثم ذكر بعد ذلك (أن الشيعة بهرتهم تلك الكلمة، وما تنطوي عليه من معنى له فعل السحر في نفوس الناس فأطلقوها أحياناً على أئمتهم، وعلى كبار الدعاة فيهم، ولو كانوا على ضد ما تحمل تلك الكلمة من معنى حسب الإطلاق اللغوي.. إلى أن قال: ولم يلبث إطلاقها بهذا المعنى الغير شرعي أن نشأ في الأوساط الصوفية أيضاً)[5].

فكما تأثر الشيعة بغيرهم فهم قد أثروا في الصوفية بل إن غلاة الشيعة لهم تأثير في الصوفية. يقول د. «كامل» (وجاء تيار شيعي آخر من الإسماعلية خدم الولاية الصوفية وجرأها على الظهور وزادها ثقة

---

(١) التصوف المنشأ والمصادر، ص١٦١-١٦٢.

(٢) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص٣٩٣.

(٣) التصوف المنشأ والمصادر، ص١٦٢.

(٤) ولاية الله والطريق إليها، إبراهيم هلال، ص٧٠.

(٥) المصدر السابق، ص٧٠.

بنفسها.. إلى أن يقول: وبذلك أسبغت الإسماعلية الولاية على نقبائها وارتقت بهم من الإنسانية المادية إلى الروحانية، فاستغل الصوفية هذه السانحة أيضاً وطبقوها في مجتمعهم وصبوا في قالبها مثلهم، حتى رأينا التصوف بعد قرون يتخذ طابع الإسماعيلية الكامل بقوله بالمنازل وتدرج المعرفة والسلوك)[1] فمفهوم الولاية عند الفريقين متقارب إن لم يكن متحداً مما يدل على وجود استفادة من الشيعة.

٢ـ الخرقــة:

تعد الخرقة من أهم مبادئ التصوف وقد أخذوها من الشيعة، يقول صاحب كتاب «التصوف المنشأ والمصادر» (إضافة إلى ذلك أن الخرقة الصوفية لا يبدأ ذكرها أيضاً إلا من علي ـ رضي الله عنه ـ ...)[2].

وقد روى ابن خلدون أن الصوفية قد تأثروا بالشيعة «وتوغلوا في الديانة بمذهبهم حتى جعلوا مستند طريقتهم في لبس الخرقة، أن علياً ألبسها «الحسن البصري» وأخذ عليه العهد بالتزام الطريقة، واتصل ذلك عنهم «بالجنيد» من شيوخهم»، بل لقد ذهبوا في ذلك إلى حد أنهم جعلوا بيت «علي» من بيوت الله المقدسة)[3].

ثم ساق المؤلف بعض النصوص عن كبار الصوفية التي تؤكد لنا أنهم اتخذوا الشيعة وأئمتهم أئمة لهم، واعتمدوا على ما روي عنهم.

(وقد حاول الشيعة ـ بعد ما رأوا من موازاة التصوف لعقيدتهم ومكانة المتصوفة بين الناس ـ أن يصلوا هم أيضاً رجال التصوف بالأئمة، فلاقوا أبايزيد البسطامي (ت ٢٦١/٨٧٤ـ٧٥) بجعفر الصادق (ت ١٤٨/٧٦٥) ورأوا أنه «خرج عن الوطن وسافر» «ثلاثين سنة»

(١) الصلة بين التصوف والتشيع، د. كامل، ص٣٤٩.

(٢) التصوف المنشأ والمصادر، ص١٤٧.

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع، د. كامل الشيبي، ٣٤٣ـ٣٤٤.

وارتاض وخدم «مائة وثلاثين» من المشائخ حتى وصل بخدمة مولانا جعفر.. فوجد ماهو المقصود...)[1].

وبهذا يتضح لنا مدى تأثر كل من الطرفين بالآخر.

٣ـ سلاس التصوف:

ومما يدل على تأثر الصوفية بالشيعة، ما ساقه «إحسان» ـ رحمه الله ـ حيث يقول (ومن شواهد تأثر التصوف بالتشيع وعلائمها أن سلاسل التصوف كلها ماعدا النادر القليل منها تنتهي إلى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ دون سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي طرق إسنادها إلى «علي» أسماء أئمة الشيعة المعصومين حسب زعمهم ـ من أولاد علي ـ رضي الله عنه ـ دون غيرهم)[2]. فعلي بن أبي طالب وذريته أساس عند كل من الشيعة والصوفية. فالشيعة يزعمون أنه أزهد الناس ـ وقد رد ذلك غير واحد من أهل العلم ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ[3] وكذلك عند الصوفية.

ومما يدل على أهمية مسألة التسلسل عندهم، أنهم أجروها في الولاية أيضاً كما زعموها في الزهد. (فأول ولي عند المتصوفة هو «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه، ومنه انتقلت الولاية إلى غيره من الأولياء كما أنه أول إمام عند الشيعة، وتسلسلت منه فورثها غيره، وكذلك الفتوة والقطبية، وهو الذي ألبس خرقته «الحسن البصري»، وهذه الخرقة التي يلبسها المتصوفة خلفاءهم وورثتهم)[4].

ويقول في موضع آخر (وعلى كل فإن الصوفية ينهون سند لبس

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع، ص٣٤٦. بتصرف.

(٢)التصوف المنشأ والمصادر، ص١٤٧.

(٣) راجع منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام ابن تيمية، جـ٧، ص٤٧٩ـ٤٩٤.

(٤) التصوف المنشأ والمصادر، ص١٥٢.

الخرقة إلى «علي» رضي الله عنه، كما ينهون إليه سلاسلهم)[1].

فمسألة إنهاء السند وفتحه «بعلي» رضي الله عنه، أمر متفق بين الشيعة ـ وهو الأصل عندهم ـ وبين الصوفية؛ وهذا ما أخذه الصوفية عن الشيعة في مسألة الولاية، والخرقة، والسلاسل أو التسلسل، وكل ذلك مقرون بعلي بن أبي طالب وأولاده من بعده ـ رضي الله عنهم.

وقد يكون التشابه في مسألة التسلسل غير مقصود ـ لدى الطائفتين ـ لكن هناك أوجه شبه أخرى تضعِّف لدينا هذا الاحتمال والله أعلم.

٤ـ ادعاء العلوم الخاصة:

يزعم كلاً من الشيعة والصوفية أن لديهم علوماً خاصة، ويفسرون ذلك تارة بأن لديهم قرآناً خاصاً، أو تفسيراً باطنياً، أو علماً لدنيا[2]... قال «أبو يزيد البسطامي» («خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله» وقال أيضاً: «أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت».

قال المؤلف: وهكذا تتطابق عقيدة التشيع مع معتقد المتصوفة في قضية العلم الباطني حتى لكأنهما شيء واحد)[3].

ولاريب أن الشيعة هم أساتذة الصوفية في هذا الفن، فكل من الشيعة والصوفية يدّعون ويزعمون أن لديهم علوماً خاصة لا يطلع عليها كل أحد؛ فالشخص لديهم يمر بمراحل ودرجات ـ أوسمها دركات ـ حتى يصل إلى تلك المرتبة.

يقول الغزالي(«وهذه العلوم ـ علوم المكاشفة ـ هي علوم سرية لا يجوز الإفضاء بها، ولا تستطيرها في كتاب» وقال: «... ثم ليس كل سرّ

(١) التصوف المنشأ والمصادر، ص١٥٣.

(٢) راجع الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص٣٩١ـ٣٩٣.

(٣) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص٣٩٢ـ٣٩٣.

يُكشف ويُفشى، ولا كل حقيقة تُعرض وتُجلى. بل صدور الأحرار قبول الأسرار، ولقد قال بعض العارفين: إفشاء سر الربوبية كفر»)[1]. الإحياء ٤/٢٤٦.

وكلام الصوفية في هذا كثير، ولولا خشية الإطالة لسقت الكثير والكثير.

٥- إدعاء أن للدين ظاهراً وباطناً:

أقول (اتفقت أيضاً كلمة التصوف مع التشيع في «أن للدين ظاهراً وباطناً» وأن الظاهر للعوام وهو «الشريعة» عندهم، وأن الباطن للخواص وهو «الحقيقة» عندهم. بل لقد زعموا أن الظاهر لا يلزم الأئمة ولا الأولياء لأنهم يتمتعون بالعلم اللدني)[2].

وهذا قريب من المظهر السابق إلا أنه أخطر منه، فالباطنية لم يصادفهم أي إشكال حين ادعوا الظاهر والباطن ولم يلتزموا بلغة ولا عرف. وفسروا النصوص على حسب أهوائهم الفاسدة.

ولقد قسّم الغزالي العلوم إلى قسمين:

(أ) العلم الظاهر.

(ب) العلم الباطن.

ثم استشهد لهذا التقسيم بحديث موضوع (العلم علمان، فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع)[3].

(وهو شبيه بالتقسيم الباطني للعلوم؛ الذي شجع الباطنية على الإسراف في التأويلات. وقد قسم الغزالي العلوم إلى علمين:

أ ـ العلم الظاهر: أي علم المعاملة. وسمى الفقهاء بـ«علماء الظاهر».

---

(١) أبو حامد الغزالي والتصوف، ص١١٩.

(٢) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص٣٩٧. بتصرف.

(٣) انظر أبوحامد الغزالي، والتصوف، ص١١٦.

ب ـ العلم الباطن: أي علم المكاشفة. وجعله غاية العلوم وأشرفها)[1]. ولاشك أن الغزالي استفاد هذا من الباطنية الذين هم شيعة في الأصل.

٦ـ تقديس القبور وزيارة المشاهد:

(من المعلوم أن بعض الصوفية والأمراء والحكام قد تنافسوا في إقامة الأضرحة والقباب فوق قبور بعض الأولياء والصالحين.

وما لبثت هذه الأضرحة أن تحولت إلى مزارات يقصدها الصوفية لإقامة ما يسمى «الحضرة»)[2].

(وتقديس القبور وزيارة المشاهد تقليد شيعي في نشأته، فالشيعة هم أول من بنى المشاهد على القبور...)[3] إلى أن يقول (وجاء الصوفية فنسجوا على هذا المنوال فجعلوا أهم مشاعرهم هو زيارة القبور وبناء الأضرحة، والطواف بها والتبرك بأحجارها، والاستغاثة بالأموات. فقد جعلوا قبر «معروف الكرخي» وهو رائد من رواد التصوف مكاناً لزيارتهم وقالوا: قبر معروف ترياق مجرب.. بل لا يوجد شيخ صوفي متبع إلا وبنى لنفسه قبة كبيرة ومقاماً)[4].

يقول الشيخ الكردي «ولما مات «الشيخ نقشبند» بنى أتباعه على قبره قبة عظيمة «وجعلوه مسجداً فسيحاً»)[5]. فالتصوف اليوم أوصل الناس إلى الشرك. والشيعة ليسوا ببعيدين من فعل الصوفية؛ بل هم الرواد في هذا المجال الشركي، كما ذكرناه آنفاً. والله أعلم.

---

(١) انظر أبو حامد الغزالي، والتصوف، ص١١٦.

(٢) ابن تيمية والصوفية، محمد أحمد درنيقة، ص١٦١.

(٣) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص٤٠٣.

(٤) المرجع السابق، ص٤٠٤.

(٥) النقشبندية عرض وتحليل، عبدالرحمن دمشقية، ص٥٧.



الفصل السادس

علم الكلام



وهذا العلم قد ذمه كثير من العلماء، بل عدُّوا الخوض فيه مهلكة (وهو مصدر أغفله كثير من الباحثين ولم يقدّروا أثره في تطور العقائد الصوفية، مع أن كثيراً من المسائل الصوفية الفلسفية متصل بمسائل علم الكلام، أو هي ظاهرة في ثوب صوفي)(١).

هذا وقد يرى البعض أن علم الكلام متصل بالمصدر اليوناني ولا داعي لإفراده؛ ولكن أقول: لقد أثر علم الكلام ليس على الصوفية فحسب بل هو مما عمت به البلوى وجعله أصحاب الأهواء ينبوعاً لهم ينطلقون منه لهدم تعاليم الإسلام والانسلاخ من السنة.

قال «عبدالرحمن دمشقية» وهو يتحدث عن آثار الترجمة لفلسفات اليونان: (ومن ثم ظهرت أمراض علم الفلك والنجوم والطلسمات والكلام والباطنية والصوفية وظهر التجهم والاعتزال، وتجرأ الفلاسفة وغيرهم على تكذيب الله ورسوله بتعطيلهم الكثير من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما لم يتفق وعلوم الفلسفة)(٢).

فظهور الترجمة ونقل علم اليونان أحدث «علم الكلام» الذي جعله الصوفية مصدراً من مصادرهم التي لا تمت للإسلام بصلة.

هذا وقد سبق وأن أشرنا إلى أن الصوفية اعتمدت على الغنوصية في بعض آرائها وهذا الفكر هو أصل لعلم الكلام الذي أخذ الصوفية منه بنصيب وافر.

يقول د. «صابر» (أهم وأقوى المؤثرات في الصوفية بل وفي ظهور علم الكلام والمتكلمين وخاصة المعتزلة وهو الفكر الغنوصي)(٣).

فالصوفية نهلوا من الأصل الذي هو الفكر الغنوصي ومن الفرع كذلك

---

(١) التصوف بين الحق والخلق، ص١٥.

(٢) أبو حامد الغزالي والتصوف، ص٦٨.

(٣) الصوفية معتقداً ومسلكاً، ص١٢٥.

الذي هو علم الكلام. والقارئ لأمثال الغزالي وغيره يرى مدى تأثير علم الكلام فيه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ (.. وأما التي يسميها علوم المكاشفة ويرمز إليها في الإحياء، ففيها يستمد من كلام المتفلسفة، وغيرهم كما في «مشكاة الأنوار» و«المضنون به على غير أهله»، وغير ذلك بسبب خلطه التصوف بالفلسفة ـ كما خلط الأصول بالفلسفة)[1]. فالغزالي خلط بين التصوف والفلسفة التي هي مصدر لعلم الكلام؛ فإذاً علم الكلام لا يقل أهمية عن بقية المصادر وإن لم يفرده البعض. (ونكتفي بالإشارة هنا إلى فكرة وحدة الوجود التي هي أخص مظهر للتصوف الفلسفي الإسلامي. فإنها ـ فيما نعتقد ـ راجعة في أصل نشأتها إلى تفكير كلامي بحت، وليست كما يقول بعض المستشرقين وليدة عامل خارجي كالفلسفة الهندية...)[2].

وكلام المؤلف ـ وإن لم نسلم به كله ـ صواب إلى حدّ ما، فعلم الكلام في الحقيقة هو من ضمن الفلسفات اليونانية، وله خطره البالغ على التصوف. والله أعلم.

---

(١) أبو حامد الغزالي والتصوف، ص٧٥.

(٢) التصوف بين الحق والخلق، ص١٥.

الفصـــل السابــع

الكشـف وأقوال المشائخ وأمثلتـــه



يزعم الصوفية أنهم عن طريق «الكشف» **يعلمون الغيب وما يدور في** الصدور وأنهم وبواسطة «الكشف، وأقوال المشائخ» **يتلقون تعاليمهم.**

(والكشف في اللغة: رفع الحجاب، وفي الاصطلاح: هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً أو شهوداً)(١).

وكما قيل: فبالمثال يتضح المقال. قال «أبو علي الروذباري» - وهو من الطبقة الرابعة - (المشاهدات للقلوب والمكاشفات للأسرار والمعاينات للبصائر...)(٢) فبالمكاشفة يتطلع الصوفية وينظرون إلى الأسرار والأمور الغيبية.

و(عن أبي سعيد الخراز قال: «دخلت المسجد الحرام، فرأيت فقيراً عليه خرقتان، فقلت في نفسي: هذا وأشباهه كَلٌّ على الناس. فناداني وقال: (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) [البقرة، ٢٣٥].

فاستغفرت الله في سري، فناداني وقال: (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) [الشورى، ٢٥]. ثم غاب عني ولم أره)(٣).

فهذا الصوفي يزعم أنه حصل له ذلك مع أحد الصوفية أصحاب الكشف، أيضاً في هذا النص تعظيم لقول الشيخ وتلقي هذا العلم عنه. (فادعاء الكشف عن علم الغيوب من أعظم الكذب على الله - غير أنه يعتبر عند المتصوفة منقبة من المناقب وكرامة من الكرامات)(٤).

والكشف خلاف الفراسة؛ لأن الصوفية يرجمون بالغيب بناءً على الكشف. (وقف نصراني على الجنيد - رحمه الله!!، وهو يتكلم في الجامع

---

(١) ابن تيمية والصوفية، ص١٤٨.

(٢) طبقات الصوفية، أبي عبدالرحمن محمد السلمي، ص٣٦٨.

(٣) حقائق عن التصوف، عبدالقادر عيسى، ص٢١٩.

(٤) الرفاعية، دراسة مستفيضة، عبدالرحمن دمشقية، ص٧٠.

على الناس، فقال: أيها الشيخ.. ما معنى حديث: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» رواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري.

فأطرق الجنيد ثم رفع رأسه وقال: «أسلم فقد جاء وقت إسلامك، فأسلم الغلام».

وحديث الفراسة أصل في الكشف الذي يقع لكثير من الأولياء.. وفيه أن الكشف بحسب الطاقة، ومن كوشف بما لا يُطيقه هلك)(١).

وهذا أمر مشتهر بين الصوفية بل يعدون الكشف كرامة من كراماتهم وإن من لم يحصل له ذلك الكشف فهو شخص ناقص(٢). جاء في كتاب «الشعراني» (وكان يقول: احذر أيها المريد أن تجالس أحداً من الفقراء بغير أدب، فإن الفقراء جواسيس القلوب، وربما دخلوا في قلبك وخرجوا فعرفوا ما فيه، وأنت لا تعلم)(٣).

فهذا النص جمع ما ذكرناه، ففيه توجيه الشيخ، وهذا القول والتوجيه منه مصدر من مصادر التلقي عند الصوفية كما بيّنا. أيضاً فيه ادعائهم بمعرفة ما في القلوب بالكشف، وهذا بهتان لا يجرؤ عليه إلا من طمس قلبه.

بل إن الصوفية تطوروا في هذا المجال وادعوا علم ورؤية «عذاب القبر ونعيمه». ومعلوم أن حياة البرزخ من المغيبات التي لا يعلمها إلا الله، وأن ما حصل للرسول صلى الله عليه وسلم من أنه علم بعذاب صاحبي القبرين فذاك ـ والله أعلم ـ لحكمة أرادها الله وتلك من خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد تحصل لبعض الناس للعظة والعبرة.. ولكن الصوفية يزعمون أن ذلك أمر عادي عندهم. قال

---

(١) حقائق عن التصوف، ص٢٢٠.

(٢) انظر الرفاعية، ص٧٠.

(٣) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، عبدالوهاب الشعراني، ص٩٦.

بعضهم (الاطلاع على المعذبين والمنعمين في قبورهم واقع لكثير من الرجال وهو هول عظيم، يموت صاحبه في اليوم والليلة موتات، ويستغيث ويسأل الله أن يحجبه عنه، وهذا المقام لا يحصل للعبد إلا بعد غلبة روحانيته على جسمانيته، حتى يكون كالروحانيين..)(١).

فهذا الصوفي يزعم أن تصفية النفس وتطهيرها هو السبيل إلى المكاشفة، وأن الكشف يأتي لا إرادياً للصوفية المتقدمين. وقد ذكرنا جملة من أقوالهم في هذا وخطؤهم واضح وجهلهم بيّن. ومع ذلك فهم لا يشكون في صدق الأمر الواقع بالمكاشفة، و«ابن عربي» أحد هؤلاء فهو (من أهل الكشف الصوفي الذين يعتمدون على الإلهام أو الإلقاء الإلهي الذي يغمر النفس على هيئة الخواطر التي لا يشك صاحبها في أنها صادقة)(٢) فبعضهم ينشر خزعبلات اعتماداً على الكشف(٣). وبعضهم يدّعي علم الغيب اعتماداً على هذا المصدر «كالجنيد» وأمثاله(٤). ومنهم من يعلم ويعرف المنعم والمعذب في قبره(٥) وينظر إلى ما حُجب أفضل البشر عنه بعد الأنبياء والرسل لحكمة أرادها مولاه. بل المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يُظهر له من ذلك إلا القليل وذلك لحكمة. ولذلك فإن (ابن عربي يرى أن هناك نوعين من المعرفة، معرفة أهل الطريق، وهي كشف محقق لا يصل إليه صاحبه «إلا عن عمل وتقوى» وهي علم موهوب لا تتطرق إليه شبهة أو خطأ)(٦).

أما النوع الثاني فهو المعروف بالعلم وهو ما يُكتسب عن طريق النظر

(١) حقائق عن التصوف، ص٢٢٠.
(٢) التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة، ص١٤٦.
(٣) انظر المرجع السابق، ص١٤٥.
(٤) راجع حقائق عن التصوف، ص٢٢٠.
(٥) انظر المرجع السابق، ص٢٢٠.
(٦) التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة، ص١٤٩.

والاستدلال. جاءِ في كتاب «الشعراني» (وسمعت سيدي «علي الخواص» رحمه الله تعالى يقول: لا يبلغ أحد مقام الإخلاص في الأعمال حتى يصير يعرف ما وراء الجدار، وينظر ما يفعله الناس في قعور بيوتهم في بلاد أخر، فهناك يعرف يقيناً بنور هذا الكشف، أن عمله ليس هو له...)(١).

نعوذ بالله من الخذلان ((أفمن زُين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون)) [فاطر، ٨].

ولعل فيما سقناه ـ باختصار ـ كفاية وبيان. والله أعلم.

(١) الأنوار القدسية، ص٩٧.

الفصل الثامن

الإلهام «العلم اللدني» وأمثلته



هذا أيضاً من مصادر التلقي عند الصوفية، وهو كما قال «الشريف الجرجاني» (ما يُلقى في الروع بطريق الفيض. وقيل: الإلهام ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة.

والإلهام إما أن يكون من قبل الله تعالى، أو من قبل الملائكة، يفهم منه أمر أو نهي أو ترغيب أو ترهيب)(١).

فالصوفية يقدّمون الإلهام على الكتاب والسنة، ولا يحتاج للعمل بالإلهام الركون إلى آية أو حديث.

يقول د. «جميل غازي» (أما ما يزعمه الصوفية عن العلم اللدني وإمكان الاستغناء به عن الوحي، فهذا زعم فيه ما فيه من الكفر والزندقة)(٢).

فبالعلم اللدني يمكنهم الاستغناء عن الوحي لأن الوحي بواسطة والعلم اللدني بلا واسطة.

(ولقد سمى الصوفية العلم الناتج عن الإلهام علماً لدنياً حاصلاً بمحض فضل الله وكرمه بغير واسطة عبادة)(٣).

جاء في كتاب «ولاية الله» (وهناك صفة ثانية أضيفت إلى مفهوم الولاية عند الشيعة والصوفية، وهي صفة العلم اللدني الذي أخذه «علي بن أبي طالب» عن «الرسول صلى الله عليه وسلم» كما قالوا، ثم ورثه إياهم...)(٤).

وحصول العلم اللدني عند الصوفية هو من لوازم الوصول إلى الله وذلك كله مبني على «الخلوة» جاء في كتاب «ولاية الله» (ومن لوازم

---

(١) حقائق عن التصوف، ص٢٢٣.

(٢) الصوفية الوجه الآخر، د. محمد جميل غازي، ص٣٩.

(٣) حقائق عن التصوف، ص٢٢٨.

(٤) ولاية الله، ص٧٢.

الوصول إلى الله عند الصوفية أو من مظاهره رؤية الله سبحانه أو ملائكته، وتنزل العلم اللدني على قلوب الأولياء والواصلين، والخطوة المباشرة لذلك هي الخلوة)[1]. فبالخلوة يحصل الإلهام ويأخذون الأحكام عن طريقه وبالصفاء كذلك كما قال الغزالي (بل قد تتمثل للأنبياء والأولياء في اليقظة والصحة صورة جميلة محاكية لجوهر المَلائكة، وينتهي إليهم «الوحي والإلهام» فيتلقون من أمر الغيب في اليقظة ما يتلقاه غيرهم في النوم وذلك لشدة صفاء باطنهم[2]. فلصفاء باطنهم حصل لهم الإلهام كما يحصل للأنبياء فهم كالأنبياء مصدرهم في التلقي واحد - على حد زعم الغزالي - وهذا لا يمنع تميز الأنبياء بالوحي.

* ومن شروط الإلهام أيضاً «التقوى» كما جاء عن بعضهم ينصح «ابن أدهم» - وهو من الطبقة الأولى - (ولا تطمع في إلهام الحكمة مع ترك التقوى)[3].

وروي عن «جعفر الخلدي» - وهو من الطبقة الخامسة - قوله (ومن ألقى إليه روح المشاهدة أكرم بالعلم اللدني)[4].

فالعلم اللدني كرامة من كرامات الصوفية والتي لا يصل إليها السالك إلا بالمجاهدة والمصابرة والمرابطة.

جاء في عوارف المعارف (واتفق المشايخ على أن من كان أكله من الحرام لا يفرق بين الإلهام والوسوسة)[5] وهذا تأكيد لما ذكرناه من أن الصوفية اشترطوا لحصول الإلهام شروطاً. يقول «عبدالرحمن

---

(١) ولاية الله، ص١٦١.
(٢) أبو حامد الغزالي والتصوف، ص١٥٥.
(٣) طبقات الصوفية، ص٢٠.
(٤) المرجع السابق، ص٤٦١.
(٥) عوارف المعارف، عبدالقاهر بن عبدالله السهروردي، ص٤٦٤.

عبدالخالق» حينما تحدث عن استحلال الصوفية الخمر والزنا... (وتارة يترقون في هذا الكذب أو بالأحرى يهوون إلى أسفل سافلين في دعاوي الكذب هذه فيزعمون أنهم تلقوا هذه العلوم من ملك الإلهام كما تلقى «محمد صلى الله عليه وسلم» علومه من ملك الوحي)(١).

وأهل الإلهام والخواطر عند الصوفية، ذوو منزلة عظيمة إلا أنها أقل من منزلة الاتحاد، لأن الإلهام والخاطر يكون للبعيد أما القريب فلا يحتاج إليه. سُئل الغزالي عن الإلهام فقال («الإلهام ضوء من سراج الغيب يسقط على قلب صاف لطيف فارغ» كل هذا؛ يدل على إمكان الكشف، وصحة الإلهام، إذا كان القلب صافياً فارغاً عن علائق الدنيا وهمومها، ومن صدأ الذنوب وظلماتها)(٢).

لكن الغالب على أهل التصوف ـ بل كلهم ـ الانحراف، فكيف نصحح أقوالهم، بل بلغت بهم الوقاحة أن يقول أحدهم (حدثني قلبي عن ربي)(٣) وبطلان هذا واضح وجلي.

ـ ومن الصوفية من يظهر له بالإلهام ما سُطرفي اللوح المحفوظ. قال «المرتعشي» ـ وهو من الطبقة الرابعة ـ (الوسوسة تؤدي إلى الحيرة والإلهام يؤدي إلى زيادة فهم وبيان)(٤) فـ«المرتعشي» في هذا النص يبين مكانة الإلهام عند الصوفية وأنه يؤدي إلى فهم وبيان للأحكام والشرائع وغيرها.

ويقول الغزالي («وحقيقة القول أن القلب مستعد لأن تتجلى فيه حقيقة

---

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص١٤٧.
(٢) حقائق عن التصوف، ص٢٢٩.
(٣) ولاية الله، ص٤٣١.
(٤) طبقات الصوفية، ص٣٥٨.

الحق في الأشياء كلها...» فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ.. والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد، وأخرى يزول بهبوب رياح تحركه، وكذلك قد تهب رياح الألطاف، وتنكشف الحجب عن أعين القلوب، فيتجلى فيها بعض ماهو مسطور في اللوح المحفوظ، ويكون ذلك تارة بالمنام، فيعلم به ما يكون في المستقبل)[١]. فهل بعد هذا الكلام يخفى على البعض خطر الصوفية، حيث يدّعون معرفة الغيب، وذلك مما اختص الله بعلمه.

قال كبير الصوفية صاحب الحلول «الحلاج» ـ وهو من الطبقة الثالثة ـ (إذا تخلص العبد إلى مقام المعرفة أوحى الله تعالى إليه بخاطره، وحرس سره أن يسنح فيه غير خاطر الحق)[٢]. فما هو مقام المعرفة هل هو الحلول؟ أم الاتحاد؟

والحاصل (أن الخواطر الكائنة من أهل الولاية إذا لم تخالف الشرع فينبغي أن تكون مسلمة لهم لكونهم أحباء الله وأولياءه تعالى، وأهل طاعته وصفوة عباده)[٣].

وهذا لا يعني أن الولي والنبي بمرتبة واحدة، بل إن من وضعهما في مرتبة واحدة فقد أخطأ وحاد عن الرشاد.. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ (لايزال الأولياء مع الأنبياء في إيمان الغيب، ولا يتصور أن الولي يعطى ما أعطيه النبي من المشاهدة والمخاطبة...)[٤]. وقال (ومعلوم أن كشف الأنبياء أعظم وأتم من كشف غيرهم، وخبرهم أصدق

(١) أبو حامد الغزالي والتصوف، ص١٥٦ـ١٥٧.

(٢) طبقات الصوفية، ص٣٠٩.

(٣) ولاية الله، ص٤٣٠.

(٤) شرح العقيدة الأصفهانية، ص١٢١ـ١٢٢. الصفدية ١/٢٦١ـ٢٦٢، لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، ط الرياض، نقلاً عن عبدالرحمن دمشقية.

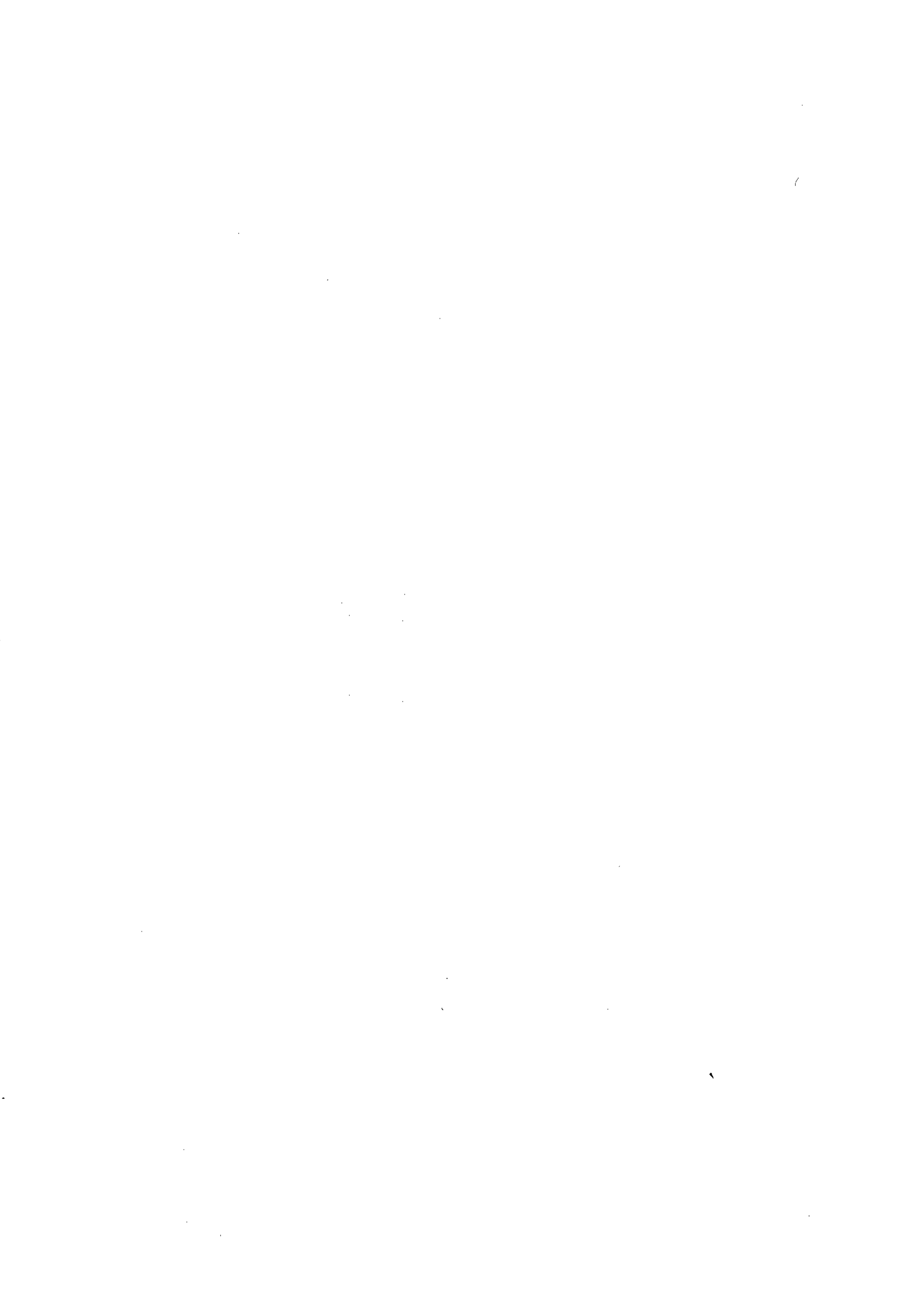
من خبر غيرهم - إلى أن قال - فكيف بمن ادعى كشفاً يناقض صريح الشرع والعقل[1]؟) وبهذا البلسم الشافي نختم هذا المصدر راجين من الله أن يوفقنا ويحرسنا بفضله وكرمه.

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص١٢٥.



الفصل التاسع

الرؤى وأمثلته



أيضاً من المصادر المعتمدة عند الصوفية «الرؤى والأحلام». فهم يتلقون الشرع ممن يرونهم يقظة أو مناماً، و«للتجانية» باع طويل في هذا، وهو من أحد افتراءاتهم حيث يزعمون (رؤية النبي صلى الله عليه وسلم دائماً وحضوره ـ وحاشاه ـ صلى الله عليه وسلم مجالس ذكرهم المبتدعة.

جاء في جواهر المعاني «قال رضي الله عنه: أخبرني سيد الوجود يقظة لا مناماً قال لي: أنت من الآمنين، ومن رآك من الآمنين إن مات على الإيمان...)[1].

ومن خرافات الصوفية ما قاله «أبو اليخر الأقطع» ـ وهو من الطبقة الرابعة ـ يقول إنه دخل المدينة المنورة ومكث بها خمسة أيام، وتقدم إلى القبر وسلّم على «رسول الله صلى الله عليه وسلم» و«أبي بكر» و«عمر»، وقال أنا ضيفك الليلة يا «رسول الله صلى الله عليه وسلم» ثم تنحّى ونام خلف المنبر.

قال: (فرأيت في المنام «النبي صلى الله عليه وسلم» و«أبي بكر» عن يمينه و«عمر» عن شماله، و«علي بن أبي طالب» بين يديه ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ فحركني «علي» وقال لي قم قد جاء «رسول الله صلى الله عليه وسلم» قال: فقمت إليه وقبلت بين عينيه فدفع لي رغيفاً فأكلت نصفه وانتبهت فإذا في يدي نصف رغيف)[2].

والصوفية يحبون رواية وذكر مثل هذه القصص الوهمية.

هذا وقد جاء في سبب تأليف الفصوص أن «محيي الدين بن عربي» قال: (فإني رأيت «رسول الله صلى الله عليه وسلم» في مبشرة أُريتها في

---

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص٣٥٨.

(٢) طبقات الصوفية، ص٣٨٢-٣٨٣.

العشر الأخير من محرم سنة «سبع وعشرين وستمائة» بمحروسة دمشق، وبيده «صلى الله عليه وسلم» كتاب، فقال لي: هذا «كتاب فصوص الحكم» خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة...)(١).

فابن عربي يزعم أنه رأى «النبي صلى الله عليه وسلم» في المنام وهو الذي أمره بأن يخرج الكتاب للناس كي يستفيدوا منه!!

أقول (وربما كشف لنا «السهروردي المقتول» عن حقيقة أولئك المتصوفة، وعن تأثرهم بالغنوص عندما روى أنه رأى أستاذه أرسطو في النوم، فسأله رأيه عن مجموعة من المتصوفة.. فقال فيهم «أولئك هم الفلاسفة الحكماء حقاً...)(٢).

فابن «عربي» رأى «الرسول صلى الله عليه وسلم» مناماً و«السهروردي» رأى أرسطو وكلاهما يستفتي من يراه ويتلقى منه ما يجعله شرعاً وديناً.

(وخلاصة أقوال العرفاء في موضوع المشاهدة هي: أننا نرى الله في كل شيء وأن كل شيء متأثر به. وآثار الرؤية والمشاهدة ينبغي أن تكون أشد أثراً من العرفان)(٣).

وذكر بعض أصحاب «الشبلي» أنه رأى «الشبلي» - وهو من الطبقة الرابعة - في المنام فقال له (ياأبا بكر من أسعد أصحابك بصحبتك؟ فقال: أعظمهم لحرمات الله وألهجهم بذكر الله...)(٤).

وقلّ أن تقرأ كتاباً من كتب الصوفية ولا تجد فيه هذه الأحلام والرؤى.

---

(١) شرح فصوص الحكم، تحقيق وتأليف محمود محمود الغراب، ص١٩، وانظرشرح فصوص الحكم، بالي أفندي، ص٤.

(٢) ولاية الله والطريق إليها، ص١٧٠. بتصرف.

(٣) تاريخ التصوف في الإسلام، ص٥٣١.

(٤) طبقات الصوفية، ص٣٤٣.

ومن الطرق الموصلة إلى ذلك:

الخلوة: يقول صاحب كتاب «ولاية الله» (ومن لوازم الوصول إلى الله عند الصوفية أو من مظاهر رؤية الله سبحانه أو ملائكته.. إلى أن قال: والخطوة المباشرة لذلك الخلوة)(١). فرؤية الله في الدنيا أمر شبه مسلّم به عند الصوفية وإنما الخلاف عندهم - إن كان ثمة خلاف - في الطريق الموصل إلى ذلك. ومن الطرق الموصلة إلى ذلك:

المداومة على الذكر: يقول الشيخ «محمد أمين الكردي» مصنف وشارح الطريقة النقشبندية الصوفية («فإذا جاهد فيه - أي الذكر - حق جهاده وصدق فيه ظهرت النتيجة وهي «رؤية جناب الحق سبحانه وتعالى» بعين البصيرة على الدوام، والمداوم عليها مع المجاهدة التامة يكون دائماً في التقرب وأبداً في التحبب حتى تنتهي مراقبته إلى المشاهدة من غير حجاب...)(٢).

فإذا رأى الله سبحانه لم يحتج إلى شرع يعبده به، بل يأخذ الشرع عنه مباشرة - على حد زعمهم - وينقطع عن العبادة، يقول «الشعراني» في هذا المقام: (ومن شأنه إذا افتتح مجلس الذكر وحده أن لا يسكت حتى يحصل له الغيبة عن الأكوان كلها، فإن الذكر إنما شرع للحضور مع الحق جل وعلا.. ثم إذا دخل الحضرة، وحضر قلبه مع الحق تعالى، فليسكت حينئذ لأنه لا معنى للذكر اللفظي مع شهود الحق تعالى...)(٣). وكلام «الشعراني» دليل على ما ذكرناه.

* **تنبيه**: قد يرى البعض أن هذا النص والذي قبله، الأولى جعله تحت الكشف. ولكن أقول: مسألة الاطلاع على علم الله تعالى تدخل تحت

---

(١) ولاية الله والطريق إليها، ص١٦١.

(٢) النقشبندية عرض وتحليل، ص٣٥-٣٦.

(٣) الأنوار القدسية، ص٥٢.

الكشف؛ أما رؤية الذات فتحت الرؤى. ولا مشاحة في الاصطلاح.

ومن مزاعم الصوفية الباطلة في الرؤى ما أورد «اليافعي» أن («أباالحسن بن حرزهم الفقيه» كان شديد الإنكار على كتاب «الإحياء للغزالي» بل همّ بإحراق نُسخ منه في الجامع يوم الجمعة، ولكنه رأى «النبي صلى الله عليه وسلم» تلك الليلة في الجامع ومعه «أبوبكر» و«عمر» و«الغزالي» فشكى الغزالي «ابن حرزهم» إلى «النبي صلى الله عليه وسلم» فاطلع «النبي صلى الله عليه وسلم» على الكتاب واستحسنه وكذلك فعل صاحباه. فأمر «النبي صلى الله عليه وسلم» بتجريد «ابن حرزهم» من ثيابه وجلده. ثم شفع فيه «أبوبكر». بعد ذلك استيقظ «ابن حرزهم» وأثر السياط في ظهره)(١).

فهل بعد هذا الهراء من هراء!! حتى أثر السياط كانت موجودة على ظهره!! ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم أمّي لا يعرف القراءة ولا الكتابة فكيف اطلع على الكتاب واستحسنه؟!

وهذا الطريق يشركهم فيه الوعاظ، ومعلوم عقوبة من حدّث عن المنام كاذباً، نسأل الله العافية.

قال التيجاني: (رأيته «صلى الله عليه وسلم» مرة وسألته عن الحديث الوارد في سيدنا عيسى عليه السلام. قلت له: ورد عنك روايتان صحيحتان واحدة قلت فيها «يمكث بعد نزوله أربعين، وقلت في الآخرى سبعاً...» ما الصحيحة منها؟ قال «صلى الله عليه وسلم»: رواية السبع)(٢). سبحان الله ألا سأل عن العقيدة!! وبدأ بالأهم ثم المهم.

ومن تلك الرؤى ما حدث به «محمد الجريري» - وهو من الطبقة الثالثة

---

(١) أبو حامد الغزالي والتصوف، ص٢٠١-٢٠٢. بتصرف.

(٢) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص٣٥٩.

ـ ببغداد عن نفسه حيث قال (رأيت في النوم كأن قائلاً يقول لي: لكل شيء عند الله حق وإن أعظم الحقوق عند الله حق الحكمة، فمن جعل الحكمة في غير أهلها طالبه الله بحقها ومن طلبه الله بحقها خصم)(١). فهذا تلقى هذه التعليمات في النوم، وذاك مصدره. وكذا «الجنيد» لم يبدأ في الوعظ إلا بعد أن رأى «النبي صلى الله عليه وسلم» فأمره بذلك فلقد (قال «السري السقطي» له: يجب عليك الوعظ. فتردد «الجنيد» ولم يرغب.. حتى رأى «المصطفى صلى الله عليه وسلم» في المنام. يقول له: اشتغل بالوعظ، فنهض صباحاً ليخبر «السري» فرآه واقفاً على الباب. فقال: كنت متوقعاً أن يقول لك الآخرون تكلم.. إلى أن يقول: وقال ـ يعني الجنيد ـ للسري: كيف علمت أني رأيت النبي في المنام. قال «السري»: إني رأيت «الله» في المنام يقول: إني بعثت «النبي» ليقول «للجنيد» اصعد المنبر وتكلم)(٢).

ياسبحان الله!! وصلت بهم الخسة أن ادعو رؤية الله في المنام وتلقي الأخبار عنه، وكذلك تلقي الأوامر من الرسول صلى الله عليه وسلم.

بل إن بعض الصوفية لا يتزوج حتى يأمره الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام، وهذا من أعظم الأدلة على أن الرؤى تعد مصدراً عندهم في التلقي. جاء في عوارف المعارف (سمعنا أن الشيخ «عبدالقادر الجيلي» قال له بعض الصالحين: لِمَ تزوجت؟ فقال: ما تزوجت حتى قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج...

إلى أن يقول المؤلف: فأما من التجأ إلى الله تعالى وافتقر إليه واستخاره فيكاشفه الله بتنبيهه إياه في منامه)(٣).

(١) طبقات الصوفية، ص٢٥٥.

(٢) تاريخ التصوف في الإسلام، ص٥٢٨.

(٣) عوارف المعارف، ص١٦٧.

فـهم في نومـهم لم يقـتـصروا عـلى رؤية الرسـول صلى الله عليـه وسلم والتلقي عنه بـل تجاوزوا ذلك إلى رؤيـة البارئ سبـحـانه وتعـالى والتلقي عنه.

وماذا يتلقون هل أمور العقيدة؟ لا!! إنها مسائل شخصية وربما فقهية. وروي عن «ابن الأنبـاري» ـ وهو من الطبـقـة الرابعـة ـ أنه رأى القـيـامـة وآدم عليه السلام[1]. وهذا كله من خرافات التصوف والمتصوفة.

ولعل فيمـا سقناه من الأمثلة كفـاية لبيان أن الرؤى مصـدر من مصـادر التلقي عند الصوفية، والله أعلم.

---

(١) راجع طبقات الصوفية، ص٤٢٤.

الفصل العاشر

الهواتف وأمثلته



الهواتف: هي الأصوات التي يسمعها الشخص ولا يرى قائلها وهي مما لُبّس على الصوفية به. حيث جعلوها من المصادر في التلقي عندهم، وبنوا عليها بعضاً من معتقداتهم، فالمتصفح والقارئ لكتب الصوفية يلحظ في أثنائها قولهم: هتف بي هاتف، وسمعت صوتاً ولم أرَ قائله ومصدره.

وسنذكر بعضاً من تلك القصص - إن شاء الله - لتتضح الصورة لدى الجميع.

قال «بهاء الدين الرواس» (ومما لا يلتفت إليه سماع هاتف يشير إلى أمر غيبي.. وقد يكون ذلك الهاتف لا من هواتف الحق بل هو من هواتف الشياطين)(١).

وإليك بعضاً من تلك الهواتف؛ جاء في الحلية كما ذكر ذلك «الصباغ» (قال أبوحمزة: سافرت سفرة على التوكل فبينا أنا أسير ذات ليلة والنوم في عيني إذ وقعت في بئر، فرأيتني قد حصلت فيها، فلم أقدر على الخروج لبعد مرتقاها وطولها فجلست فيها، فبينا أنا جالس إذ وقف على رأسها رجلان. فقال أحدهما لصاحبه: لا نجوز ونترك هذه.. فقال الآخر: فما تصنع؟ فقال نطمها. قال: فبدرت نفسي أن تقول: أنا فيها، فتوقفت، فنوديت: تتوكل علينا وتشكو بلانا إلى سوانا؟... فمكثت يومي وليلتي، فلما كان الغد ناداني شيء يهتف بي ولا أراه: تمسك بي شديداً، فظننت أنه جني فمددت يدي ألتمس.. فوقعت يدي على شيء خشن.. فتأملت.. فإذا هو سبع، فلما رأيته لحق نفسي من ذلك ما يلحق من مثله، فهتف بي هاتف: ياأبا حمزة!! استنقذناك من البلاء بالبلاء وكفيناك ما تخاف)(٢).

---

(١) الرفاعية دراسة مستفيضة، ص٧٣.

(١) أبو نعيم حياته وكتابه الحلية، محمد لطفي الصباغ، ص٧١-٧٢.

ورواية القصة ليس للتسلية وإنما ليبين مقام التوكل استدلالاً بالهاتف الذي يعدونه مصدراً من مصادرهم.

وإليك ما قاله أبو يزيد عن نفسه، قال: (خرجت أول مرة إلى الحج فغلبني الزحام، وخرجت ثانياً فغلبني البيت، وثلاثة، وخرجت الرابعة فنوديت في بعض المتاهات: إلى أين ياأبا يزيد؟ فقلت إليه. فناداني: خلّفته ببسطام! فنبهت عن غفلتي)[1].

وهذا أيضاً هاتف هتف بأبي «يزيد البسطامي» ودله على الشرك عياذاً بالله. ولقد سُئل «إبراهيم بن أدهم» ـ وهو من الطبقة الأولى ـ: كيف بدئك؟ قال: (كان أبي من ملوك خراسان وكنت شاباً، فركبت إلى الصيد فخرجت يوماً على دابة لي ومعي كلب، فأثرت أرنباً أو ثعلباً فبينا أنا أطلبه إذ هتف بي هاتف لا أراه، فقال: «ياإبراهيم» ألهذا خُلقت أم بهذا أمرت!! ففزعت ووقفت ثم عدت فركضت الثانية ففعل بي مثل ذلك ثلاث مرات، ثم هتف بي هاتف من «قربوس السرج» والله ما لهذا خُلقت ولا بهذا أمرت. قال: فنزلت فصادفت راعياً لأبي يرعى الغنم فأخذت جبته الصوف..)[2].

«فأبو إسحاق» يزعم أنه سمع الهاتف ولم يره وهو الذي دلّه على هذا الطريق فالتزم به.

وهذا ليس بغريب من الصوفية.

ومن قصصهم أيضاً ما روي عن «أبي يزيد طيفور بن عيسى» ـ وهو من الطبقة الأولى ـ حيث يقول: (فعدت ليلة في محرابي فمددت رجلي فهتف بي هاتف، من يجالس الملوك ينبغي أن يجالسهم بحسن الأدب)[3].

---

(١) شطحات الصوفية، عبدالرحمن بدوي، ص١٢٨.

(٢) طبقات الصوفية، ص١٤.

(٣) طبقات الصوفية، ص٦١ـ٦٢.

ومما ينتج عن كلامهم أنهم كلما أخطأوا هتف بهم هاتف ليردهم إلى الصواب، وهذا قريب من حالة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث إن الوحي يوجههم إن ارتكبوا محظوراً، مع أن الأنبياء معصومون من الخطأ. أما الأولياء فلا كما هو مذهب أهل السنة والجماعة بل أولياء الصوفية قد وقعوا في الكبائر. فالصوفية حين جعلوا الهواتف من مصادر تلقيهم الشرع رفعوا منازلهم إلى مقام الأنبياء وهذا لا يجوز.

روي عن أبي بكر بن أبي سعدان ـ وهو من الطبقة الرابعة ـ قوله (من سمع بأذنه حكى ومن سمع بقلبه وعظ ومن عمل بما يسمع هدى واهتدى)[١] والهواتف من سماع الأذن. هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



(١) طبقات الصوفية، ص٤٤٠.



الخاتمة



الحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على الإمام محمد وبعد:

لا يسعني في نهاية هذا البحث المتواضع إلا أن أشكر الله عز وجل على ما يسره من إتمام هذا الموضوع وجمع شتاته. فله الحمد والمنة.

ثم أقول: ظهر لي من خلال هذا البحث مدى خطر الصوفية على عقول الناس وفطرهم؛ فإذاً هو بحث هام، وموضوع جدير بالعناية، وذلك لأنه مما عمت به البلوى واتسعت رقعته حتى عمت العالم الإسلامي. مع ما في هذا العالم من الجهل.

والصوفية اليوم ليسوا كصوفية الأمس، فلهم المناصب العالية والمحافل العامرة تركوا الزهد وجعلوا من التصوف أداة لطعن الإسلام، بل لهم تأثيرهم على العامة وحتى على الحكام.

ولو تولى هذا البحث أحد العلماء لرأيت العجب العجاب، ولكن هذا جهد المقل. ثم إن الوقت ضيق لظروف طارئة فأرجو المعذرة على التقصير.

وفي نهاية المطاف نخلص إلى نتائج نذكر منها مايلي:

١ـ أن لفظ «الصوفية» محدث لم يعرفه السلف[١] وكذا الفرقة[٢]، وأن هذا اللفظ مشتق من لبسهم الصوف كما رجح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[٣]، مع أن بعض الصوفية ينكر ذلك كالقشيري[٤]. وأن الصوفية أنفسهم تعددت أقوالهم في تحديد ماهية التصوف[٥].

٢ـ أن التصوف مرّ بمراحل أربعة:

أ ـ طبقة العباد والزهاد كقصة الثلاثة[٦].

---

(١) راجع التصوف المنشأ والمصادر، ص٤٣.

(٢) انظر الفكر الصوفي ضوء الكتاب والسنة، ص٣٣.

(٣) انظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جـ١١، ص٧.

(٤) انظر الصوفية معتقداً ومسلكاً، ص٢٢.

(٥) راجع التصوف المنشأ والمصادر، ص٣٦.

(٦) راجع الصوفية نشأتها وتطورها، ص١٧ـ٢٣.

ب ـ أوائل الصوفية ومنهم بدأ «كالجنيد، والحلاج»[1].

جـ ـ مرحلة المصطلحات والغموض حيث تطور السماع إلى الفناء والتفسير الباطني[2].

د ـ ثم التصوف الفلسفي وبه خرجوا عن الإسلام[3].

٣ـ أما عن مصادر التلقي عند الصوفية ـ وهي لب الموضوع ـ فقد قدمت لها بتمهيد أرجو أن يكون مفيداً ذكرت فيه بعض المصادر بل عشرة[4] تحدثت عن بعضها وأكملتها بمصادر أخرى.. وبينت أن الصوفية لها مدد من كل ملة ونحلة[5] فهي «كالجهم» سباطة المذاهب والأفكار.

٤ـ أما المصادر العشرة فإليكها بالترتيب كما فصلت فيها: النصرانية، اليهودية، الهندية وفيها الفارسية، اليونانية، الشيعية، علم الكلام، الكشف وأقوال المشائخ، الإلهام أو العلم اللدني، الرؤى، الهواتف*.

٥ـ وقد خلصت إلى أن الصوفية استفادت أول ظهورها من النصرانية[6] وكذا من الهندية[7] ثم بعد ذلك وبعد ظهورها استفادت من اليهودية[8].

---

(١) راجع الصوفية نشأتها وتطورها، ص٢٤ـ٢٨.

(٢) راجع المصدر السابق، ص٣٦ـ٤٠.

(٣) راجع المصدر السابق، ص٤٣.

(٤) انظر التصوف المنشأ والمصادر، ص٤٩.

(٥) راجع هذه هي الصوفية، ص١٩. * انظر الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص٣٧.

(٦) راجع أبو حامد الغزالي والتصوف، ص١٣٧.

(٧) انظر التصوف بين الحق والخلق، ص١٨ـ١٩.

(٨) راجع أضواء على التصوف، ص١١٦. والفلسفة الصوفية في الإسلام، ص٢١.

بعد ذلك دخل التأثير اليوناني عليهم[1] سواء كان أفلاطونياً[2] أم غنوصياً[3] وكان للشيعة دورهم في هذه الأثناء[4] وصاحب ذلك أثر علم الكلام على المسلمين عامة وعلى الصوفية خاصة[5].

٦ـ ولقد حاولت جمع ما أقدر عليه من مظاهر التلقي والاستفادة والشبه بين الصوفية ومن استفادوا منه[6].

وحيث إن الفرق قد تتفق في المظاهر التي أخذتها الصوفية عنها فلربما ذكرت ذلك في بعض المواقع. ونبهت إليه.

٧ـ يكاد الباحثون أن يجمعوا على عد المسيحية، واليهودية، والهندية، واليونانية، والشيعة، وعلم الكلام. أنها من مصادر التلقي لدى الصوفية بل إنهم تحدثوا عنها في كتبهم[7]. هذا بالنسبة للتأثير الخارجي، وهي ستة مصادر.

٨ـ أما المصادر الداخلية ذكرت منها أربعة هي على الترتيب: الكشف وأقوال المشائخ[8]، الإلهام أو العلم اللدني[9]، الرؤى[10]، الهواتف[11].

---

(١) راجع التصوف والمتصوفة، ص١٣٧. وانظر التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة، ص١٧.

(٢) انظر التصوف المنشأ والمصادر، ص١٢١. والتصوف بين الحق والخلق، ص١٦.

(٣) راجع الصوفية معتقداً ومسلكاً، ص١٢٥. وأبو حامد الغزالي والتصوف، ص٣٩.

(٤) انظر الصلة بين التصوف والتشيع، ص٣٤٩. ولاية الله والطريق إليها، ص٧٠.

(٥) راجع التصوف بين الحق والخلق، ص١٥. وأبو حامد الغزالي والتصوف، ص٧٥.

(٦) راجع مصادر التلقي عند الصوفية، في هذا البحث.

(٧) راجع التصوف المنشأ والمصادر، ص٤٩. وحقيقة التصوف، ص٢٠.

(٨) انظر الرفاعية، ص٧٠. الأنوار القدسية، ص٩٦.

(٩) راجع الصوفية الوجه الآخر، ص٣٩. ولاية الله، ص٧٢.

(١٠) انظر الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص٣٥٨. طبقات الصوفية، ص٣٨٢ـ٣٨٣.

(١١) راجع الرفاعية، ص٧٣. أبو نعيم وكتابه الحلية، ص٧١ـ٧٢.

وذيلت كل مصدر بأمثلة وقصص وروايات عنهم بل وفي كتبهم(١).

٩ـ أما النتيجة المهمة في البحث فهي الحكم على عقيدة القوم؛ فالصوفية القائلين بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود لايشك أحد في كفرهم(٢).

وكذا مدّعي الغيب منهم فهم كفار أيضاً(٣). وهكذا من زعم رؤية الله فقد خالف الإجماع(٤).

أيضاً من قرن بين النبي والولي أو فضّل الولي على النبي فقد حاد عن الصواب. قال الطحاوي ـ رحمه الله ـ (ولا تفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء(٥). قال الشارح (يشير الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ إلى الردّ على الاتحادية وجهلة المتصوفة)(٦) كما أن «ابن عربي» كفّره ابن أبي العز وكفّر أمثاله ممن قال بقوله(٧).

١٠ـ ثم إني أود أن أنبّه إلى أن بعض المصادر قد لا يتفق عليه الجميع ولكنه في نظري ـ المحدود ـ مصدر، وإن عدّه البعض مؤشراً. وذلك لأن الأمثلة والأقوال تنقله من كونه مؤشراً إلى كونه مصدراً.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على النبي الأمي الأمين.

هذا جهدي ووسعي فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خلافه فمني والشيطان والله أعلم.

---

(١) انظر مصادر التلقي عند الصوفية من «الفصل السابع حتى العاشر» في هذا البحث.

(٢) انظر التدمرية، ص١٠٧.

(٣) راجع شرح العقيدة الطحاوية، جـ١، ص٣٤٣، ص٣٢٠.

(٤) انظر المرجع السابق، جـ١، ص٢٢٢.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية، جـ٢، ص٧٤١.

(٦) المرجع السابق، جـ٢، ص٧٤٢.

(٧) المرجع السابق، جـ٢، ص٧٤٥.

المصـــادر والمراجـــع



١ ـ ابن تيمية والصوفية:
لمحمد أحمد درنيقة، سوهام توفيق المصري، ط الأولى، مكتبة الإيمان، طرابلس، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م. كتاب.
٢ـ أبو حامد الغزالي والتصوف:
دراسة حول العديد من كتب الغزالي وخاصة إحياء علوم الدين. لعبدالرحمن بن محمد سعيد دمشقية. ط الثانية. دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٩هـ. كتاب.
٣ـ أبو نعيم، حياته وكتابه الحلية:
محمد لطفي الصباغ، ط الثانية، دار الاعتصام، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م. كتاب.
٤ـ أضواء على التصوف. دراسة موضوعية:
د. طلعت غنام، عالم الكتب، القاهرة، كتاب.
٥ ـ الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية:
عبدالوهاب الشعراني، ٨٩٨ـ٩٧٣هـ حققه/ طه عبدالباقي سرور، السيد محمد عيد الشافعي، ط الأولى. المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م. كتاب من جزئين.
٦ـ تاريخ التصوف في الإسلام:
د. قاسم غني «بالفارسية» ترجمة: صادق نشأت، راجع" د. أحمد ناجي القيسي، د. محمد مصطفى حلمي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م، مجلد.
٧ـ التدمرية:
شيخ الإسلام ابن تيمية، ٦٦١ـ٧٢٨هـ تحقيق .د محمد بن عودة السعوي، ط الأولى، شركة العبيكان للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م. مجلد.

٨ـ التصوف. المنشأ والمصادر:
إحسان إلهي ظهير. ط الأولى، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان،، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م. كتاب.
٩ـ التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة:
د. إبراهيم هلال، ط الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م. مجلد.
١٠ـ التصوف بين الحق والخلق:
محمد فهر سقفة، ط الثالثة، الدار السلفية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م. كتاب.
١١ـ التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام:
عبدالكريم الخطيب، ط الأولى، دار الفكر العربي، ١٩٨٠م. كتاب.
١٢ـ حقائق عن التصوف:
عبدالقادر عيسى، ط الأولى، المطبعة العربية حلب، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٦٤م. مجلد.
١٣ـ حقيقة التصوف. وموقف الصوفية من أصول العبادة والدين:
الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، ط الأولى، دار العاصمة، شوال ١٤١٢هـ، الرياض، كُتيِّب.
١٤ـ دراسات في التصوف:
إحسان إلهي ظهير. قدم له الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، ط الأولى، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م. كتاب.
١٥ـ الرفاعية دراسة مستفيضة:
عبد الرحمن دمشقية، ط الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م. كتاب.

١٦ـ شرح العقيدة الطحاوية: .
لابن أبي العز الحنفي الدمشقي، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه كل من د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، شعيب الأرناؤوط، ط الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م. مجلدين.
١٧ـ شرح فصوص الحكم:
للشيخ بالي أفندي، المطبعة العثمانية، ١٣٠٩هـ. مجلد.
١٨ـ شرح فصوص الحكم من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي:
تحقيق وجمع وتأليف محمود محمود الغراب، مطبعة زيد بن ثابت، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
١٩ـ شطحات الصوفية، الجزء الأول، أبو يزيد البسطامي:
عبدالرحمن بدري، مكتبة النهضة المصرية.
٢٠ـ الصلة بين التصوف والتشيع:
د. كامل مصطفى الشيبي، ط الثانية، دار المعارف بمصر. مجلد.
٢١ـ الصوفية معتقداً ومسلكاً:
د. صابر طعيمة، ط الأولى، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م. كتاب.
٢٢ـ الصوفية نشأتها وتطورها:
محمد العبده، طارق عبدالحليم، ط الثالثة، دار الأرقم، برمنجهام، بريطانيا، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م. كتاب.
٢٣ـ الصوفية الوجه الآخر:
د. محمد جميل غازي، إعداد: عبدالمنعم الجداوي، المطبعة الفنية، القاهرة، المركز الإسلامي العام لدعاة التوحيد والسنة «المسيرة الإسلامية».

٢٤ـ طبقات الصوفية:

جمع أبي عبدالرحمن محمد بن الحسين السلمي «ليدن Leiden» ١٩٦٠م. مجلد.

٢٥ـ عوارف المعارف:

عبدالقاهر بن عبدالله السهروردي، ط الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م. مجلد.

٢٦ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري:

للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ٧٧٣ـ٨٥٢هـ تصحيح وإشراف وتحقيق الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ حفظه الله ـ، رقّمه وبوّبه محمد فؤاد عبدالباقي، أشرف على طباعته محب الدين الخطيب، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. مجلدات.

٢٧ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان:

شيخ الإسلام ابن تيمية، تصحيح وتعليق محمود عبدالوهاب فايد، نشر وتوزيع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٢٨ـ الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة:

عبدالرحمن عبدالخالق، خرّج أحاديثه محمد عيد العباسي، ط الثانية، مكتبة ابن تيمية، الكويت. كتاب.

٢٩ـ الفلسفة الصوفية في الإسلام: مصادرها ونظرياتها ومكانها من الدين والحياة:

د. عبدالقادر محمود، ط الأولى، دار الفكر العربي، ١٩٦٦ـ١٩٦٧م.

٣٠ـ القيمة الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية:
أنور الجندي، مطبعة الرسالة.
٣١ـ الله. كتاب في نشأة العقيدة الإلهية:
عباس محمود العقاد، ط الثالثة، دار المعارف بمصر.
٣٢ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. الجزء ١١:
جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي وابنه محمد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مجلدات.
٣٣ـ من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة دراسة نقدية:
د. محمد السيد الجليند، ط الثالثة، دار اللواء للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م. كتاب.
٣٤ـ منهاج السنة النبوية:
لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، أشرفت على طباعته ونشره: إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، ط الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، جامعة الإمام محمد. مجلدات.
٣٥ـ النقشبندية عرض وتحليل:
عبدالرحمن دمشقية، تقديم الشيخ عبدالله بن جبرين، ط الثالثة، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م. كتاب.
٣٦ـ هذه هي الصوفية:
عبدالرحمن الوكيل، ط الرابعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م. كتاب.
٣٧ـ ولاية الله والطريق إليها. دراسة وتحقيق لكتاب قطر الولي على حديث المولى للشوكاني:
إبراهيم إبراهيم هلال، تقديم ابن الخطيب، دار الكتب الحديثة.



الفهــــــرس



المؤلف في سطور

* الاسم: هارون بن بشير أحمد صديقي.
* من مواليد بريدة ١٣٩٠/١٠/٢٥هـ الموافق ١٩٧٠/١٢/٢٥م.
* التحق في المدرسة الابتدائية لتحفيظ القرآن الكريم في بريدة عام ١٣٩٦هـ وتخرج منها عام ١٤٠٢/١٤٠١هـ.
* التحق في المعهد العلمي في بريدة عام ١٤٠٢هـ وتخرج منه عام ١٤٠٨/١٤٠٧هـ بتقدير جيد جداً.
* التحق بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض ـ كلية أصول الدين ـ قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بعد سنة من التخرج أي عام ١٤١٠/١٤٠٩هـ وتخرج منها بتقدير ممتاز في ١٤١٤/١/٢٣هـ.
* التحق في التعليم العالي في عام ١٤١٤هـ وأنهى السنة المنهجية بتقدير جيد جداً في ١٤١٥/٢هـ.

ردمك ٩-٢٢-٦٦١-٩٩٦٠

مطابع البادية ٢٣٢٠٠٣٨